

روايات
صرية للجيب
ملف المستقبل
٦١
الكابوس
Looloo
www.dvd4arab.com



١ ــ زائر الأحلام ..

سار (رمزى) فى خطوات بطيئة ، عَبْرَ ممرّات المستشفى الضخم ، الذى امتدّ إلى ما لانهاية ، وبدت وكأن الضباب يحيط بها ، وينتشر خلالها فى بطء مَهيب ، حتى توقّف (رمزى) أمام نافذة زجاجية ضخمة ، تطلّ على حجرة العناية المركّزة بالمستشفى ، وتطلّع فى حزن إلى جسدى (نور) و (سلوى) ، اللذين استقرّا فوق فراشين متجاورين ، أحاطت بكل منهما خيمة من البلاستيك الشفّاف ، اتصلت بها عشرات الأنابيب والأسطوانات ، وتراصّت حولها أجهزة الفحص الإليكترونية ، التى تنقل كل خلجة من خلجات الجسدين الغارقين فى غيبوبة طويلة ، لا يعلم إلا الله (سبحانه وتعالى) وحده متى تنتهى .. ومتى يغادرانها .. وكيف ؟..

وفجأة .. أحاط به ظلام دامس ، وفراغ رهيب ، وتناهى إلى مسامعه صوت يأتى من أعماق سحيقة ..

صوت (نشوى) .. ابنة (نور) و (سلوى) ، وهى تقول فى صوت باكٍ حزين :

ـــ هل يخرجان من غيبوبتهما يومًا يا عمِّى (رمزى) ؟
هتف فى حرارة :
ـــ بالتأكيد يا (نشوى) .. سيفعلان بإذن الله .
ولكن هتافه لم يتجاوز حلقه ..
كان يتردَّد فى أعماقه قويًا ، حارًا ، ولكن لسانه بدا جامدًا ، متصلِّبًا ، عاجزًا عن نقل الكلمات إلى خارج شفتيه ..
وراحَ صوت (نشوى) يبتعد ، ويخفت ، وهى تردِّد المقطع الأخير :
ـــ يا عمِّى (رمزى) .. يا عمِّى (رمزى) ..
أراد أن يصرخ :
ـــ أين أنت يا (نشوى) ؟.. لا تبتعدى .. لا تبتعدى ..
ولكن صيحته ـــ فى هذه المرَّة أيضًا ـــ لم تتجاوز عقله وحلقه ..
وفى بطء ، راح الظلام المحيط به يمتلئ بالنجوم المتألِّقة ، وراح جسده يسبح فى بطء ، كما لو كان داخل سفينة فضاء ، بلغت منطقة انعدام الوزن ..
وإلى جواره راحت حجرة العناية المركَّزة تسبح فى الفراغ ، وداخلها (نور) و (سلوى) ..

وفجأة .. دخل رجل يرتدى معطف الأطباء إلى الحجرة ..
حاول (رمزى) أن يتبيَّن ملامحه .. إلا أنها بدت وكأن الضباب يغلِّفها تمامًا ، وهو يقترب من فراش (نور) ، ويخرج من جيبه مبضعًا حادًّا ، وأنبوب ليزر جراحىّ ..
وهتف (رمزى) :
ـــ ماذا ستفعل ؟
خُيِّل إليه أن صيحته لم تتجاوز حلقه كالمعتاد ، إلا أن الرجل التفت إليه ، بملامحه غير الواضحة ، التى يحيط بها الضباب الكثيف ، وأشار إلى رأس (نور) ، وهو يقول فى هدوء ، وبصوت عميق رنَّان :
ـــ إنه عبقرى !! وأنا أحتاج إلى مُخِّه .
هتف (رمزى) فى ذهول ورُعب :
ـــ مُخّه ؟!
أجاب الرجل ، وهو يصوِّب أنبوب اللِّيزَر الجراحى إلى جُمْجُمَة (نور) :
ـــ نعم .. إنه أعظم مُخّ يصلح لتجربتى .
وفجأة .. فتح (نور) عينيه ، وتطلَّع إلى (رمزى) ، وهو يهتف دون أن يفتح شفتيه :

ـــ لا تتركه يفعل ذلك يا (رمزى) .. لا تتركه يفعل ذلك ..

حاول (رمزى) أن يندفع نحو الرجل ، الذى بدأ يخترق جُمْجُمَة (نور) بأشعة اللّيـزر الجراحيَّة ، إلّا أن أطراف (رمزى) بدت ثقيلة كالرصاص ، وراح جسده يبتعد فى الفراغ ، وصوت (نور) يتردَّد من حوله :

ـــ لا تتركه يفعـل يا (رمـزى) .. يا (رمـزى) .. يا (رمزى) .

وصرخ (رمزى) بكل اليأس والألم والمرارة فى أعماقه :

ـــ كلّا .. ليس (نور) .. ليس (نور) ..

واستيقظ فجأة ..

استيقظ وهو يهبُّ جالسًا على فراشه ، والعرق يتصبَّب على جبينه فى غزارة ، وأنفاسه تتلاحق فى شِدَّة ، من فرط الانفعال والتوتُّر ..

وأحاط به سكون شامل رهيب ، وهو يرقد على فراشه ، داخل حجرته ، فأخذ يلهث ، وتطلَّع إلى ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة والنصف صباحًا ، ثم غمغم فى توتُّر بالغ :

ـــ يا للكابوس الرَّهيب !!

حاول أن يستسلم للنوم مرَّة أخرى ، ولكنَّ قلبه كان ينبض فى عُنْف ، وأعصابه كانت مُهْتَاجَةً فى شِدَّة ، حتى أن جفنيه أبيا أن يُسبلا مرَّة أخرى ، فنهض من فراشه ، وجذب مقعدًا إلى جوار نافذة حجرته ، وجلس فوقه ، يتطلَّع إلى النجوم التى تملأ السماء ، فى شُرود ..

لم تكن المرَّة الأولى ، التى يهاجمه فيها الكابوس ذاته ..

بنفس الأحداث ..

بنفس التفاصيل ..

إنه يقتحم منامه فى كل ليلة ، منذ أسبوع كامل ..

وعاد بذاكرته إلى شهر مضى ..

عاد إلى ذلك اليوم ، الذى انتقل فيه (نور) و (سلوى) ، خلال تجربة رهيبة إلى بُعد آخر ، واجها فيه العمالقة ..

واسترجع ذهنه كل الجهود التى بذلها مع (محمود) ؛ لإعادة (نور) و (سلوى) إلى عالمهم ..

ثم تذكَّر لحظة العَوْدة ..

تذكَّر كيف كانت خليطًا من أحداث يشيب لها الولدان ..

كيف انتهت بوقوع (نور) و (سلوى) فى تلك الغيبوبة العميقة ، وإصابة (محمود) بإصابات عنيفة ، لم يشف منها حتى الآن(*) ..

ولكن لماذا يهاجمه هذا الكابوس البَشِع ؟..

لماذا ؟..

انتبه من ذِكْرياته على شروق الشمس ، وألوان الشُفق الرائعة ، فتنهَّد فى عُمْق ، ونهض مغمغمًا :

ـ أظن أننى أحتاج إلى استشارة خبير فى مثل هذه الأمور .

واتجه نحو حمَّامه ، مستطردًا فى حزم :

ـ أحتاج إلى الدكتور (محمد حجازى) ..

* * *

ابتسم الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطبّـــاء الشرعيين ، ابتسامة باهتة ، وهو يقول لـ (رمزى) فى هدوء :

ـ استشارتى أنا يا ولدى ؟!.. المفروض أن يكون العكس هو الصحيح ، فأنت الخبير النفسىّ ، لا أنا .

تنهَّد (رمزى) ، وهو يقول فى انفعال :

(*) راجع قصة (أرض العمالقة) .. المغامرة رقم (٦٠) .

ـ لسنا إزاء مشكلة نفسيَّة يا دكتور (حجازى) ، بل أمام كابوس مخيف ، يلحّ على منامى فى إصرار سخيف .

سأله الدكتور (محمد حجازى) فى اهتمام :

ـ ألا يُحتمل أن يكون هذا الكابوس مجرَّد انعكاس لحالتك النفسيَّة ، بسبب حزنك الشديد على ما أصاب (نور) و (سلوى) ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لقد درسْتُ ذلك الاحتمال يا دكتور (حجازى) ، ولكننى استبعدته تمامًا .. فلقد كان من المنطقىّ أن يحدث ذلك مع بداية إصابتهما ، وليس بعد أن تهدأ الأمور ، وتخفت الانفعالات .

نهض الدكتور (محمد حجازى) من مقعده ، وعقد حاجبيه فى تفكير عميق ، وهو يتحرَّك فى أرجاء معمله الخاصّ فى صمت ، و (رمزى) يتابعه بعينيه فى لهفة واهتمام ، حتى توقَّف الدكتور (حجازى) ، والتفت إليه قائلًا :

ـ هل قرأت شيئًا عمَّا يسمَّى بالجسم الأثيرىّ يا (رمزى) ؟

غمغم (رمزى) فى اهتمام :

— ليس إلى الحدّ الكافى .

شرد الدكتور (حجازى) برأسه ، وهو يقول :

— يؤكّد بعض المتعمّقين فى علوم الروحانيّات ، وما فوق الطبيعيّات (البارافيزيقا) ، أن الجسم البشرى يتكوّن من جزأين : جسم مادّىّ محدود ، هو ذلك الذى نراه ، ونتعامل معه ، ويمكننا أن نلمسه ، وآخر أثيرىّ ، ينبع من روحه ، وينطلِق بلا حدود ، فلا تعُوقه الحواجز أو المادّيّات ، وهذا الجسم الأخير ينطلق فقط فى حالة الخطر ، أو فى حالة عجز الجسم المادّىّ ، أو — فى حالات نادرة — بإرادة صاحبه ، ولعل هذا سرّ القول الحكيم : « كل ذى عاهة جبّار »(*) ..

سأله (رمزى) فى اهتمام :

— وما الذى يَعْنيه ذلك بالضبط ؟

التفت إليه الدكتور (حجازى) فى هدوء ، وقال :

— لو أننا وافقنا على تلك النظرية ، فسيَعْنى ذلك أن الكابوس الذى تراه ، ليس مجرّد حلم مزعج ، وإنما هو رسالة .

هتف (رمزى) فى ارتياع :

(*) نظرية علمية (ميتافيزيقية) ، ما زالت قيد الدراسة حتى يومنا هذا .

— رسالة ؟!

أجابه الدكتور (محمد جازى) فى حزم :

— نعم يا (رمزى) .. رسالة تحذير ، من الجسم الأثيرىّ لـ(نور) .

وعاد يَشْرُدُ ببصره ، وهو يستطرد فى صوت مُرْتجف قلِق :

— رسالة تَعْنى أن (نور) يتعرّض إلى خطر بالغ .. خطر الموت .

* * *



٢ ــ التجـــربة ..

استمع الدكتور (إبراهيم) ، رئيس وحدة العناية المركَّزة ، إلى حديث (رمزى) والدكتور (حجازى) فى دهشة ، قبل أن يهتف فى استنكار :

ــ أىُّ هُرَاءٍ هذا ؟.. هل تشككان فى رعايتنا لرائد المخابرات وزوجته ، بسبب كابوس سخيف ، لا يستند إلى أيَّة حقائق علميَّة ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

ــ لو أننا اعترفنا بنظريَّة الجسم الأثيرىّ ، فسنجد أن .....

قاطعه الدكتور (إبراهيم) فى حِدَّة :

ــ إنها أسخف نظرية سمعتها فى حياتى .. إن زميلكما رائد المخابرات العلمية يلقى هنا عناية لا مثيل لها ، ويشرف عليه ، وعلى زوجته ، أربعة من أبرع أطباء المخّ والأعصاب ، الدكتور (صفوت) ، والدكتور (وحيد) ، والدكتور (منير) ، والدكتور (عامر) ، وهم يبذلون أقصى جهدهم لرعايته ، والعناية به ، ومحاولة إخراجه وزوجته من غيبوبتهما العميقة .

سأله (رمزى) فى حِدَّة :

ــ **ألم تتدهوَرْ حالتهما مثلاً ، فى الآونة الأخيرة ؟**

أجابه الدكتور (إبراهيم) فى عصبيَّة :

ــ **كلَّا .. بل هى ثابتة ، لا تتقدَّم أو تتأخر .**

سأله الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ــ أهناك تجارب تُجرى حول عمليات نقل المخّ هنا ؟

حدَّق الدكتور (إبراهيم) فى وجهه بذُهول ، وطال صمته لحظات ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يهتف فى حَنَق :

ــ ليس من حقِّك أن تُلقِىَ هذا السؤال .

عقد (رمزى) حاجبيه بدَوْرِه ، وهو يقول فى حِدَّة :

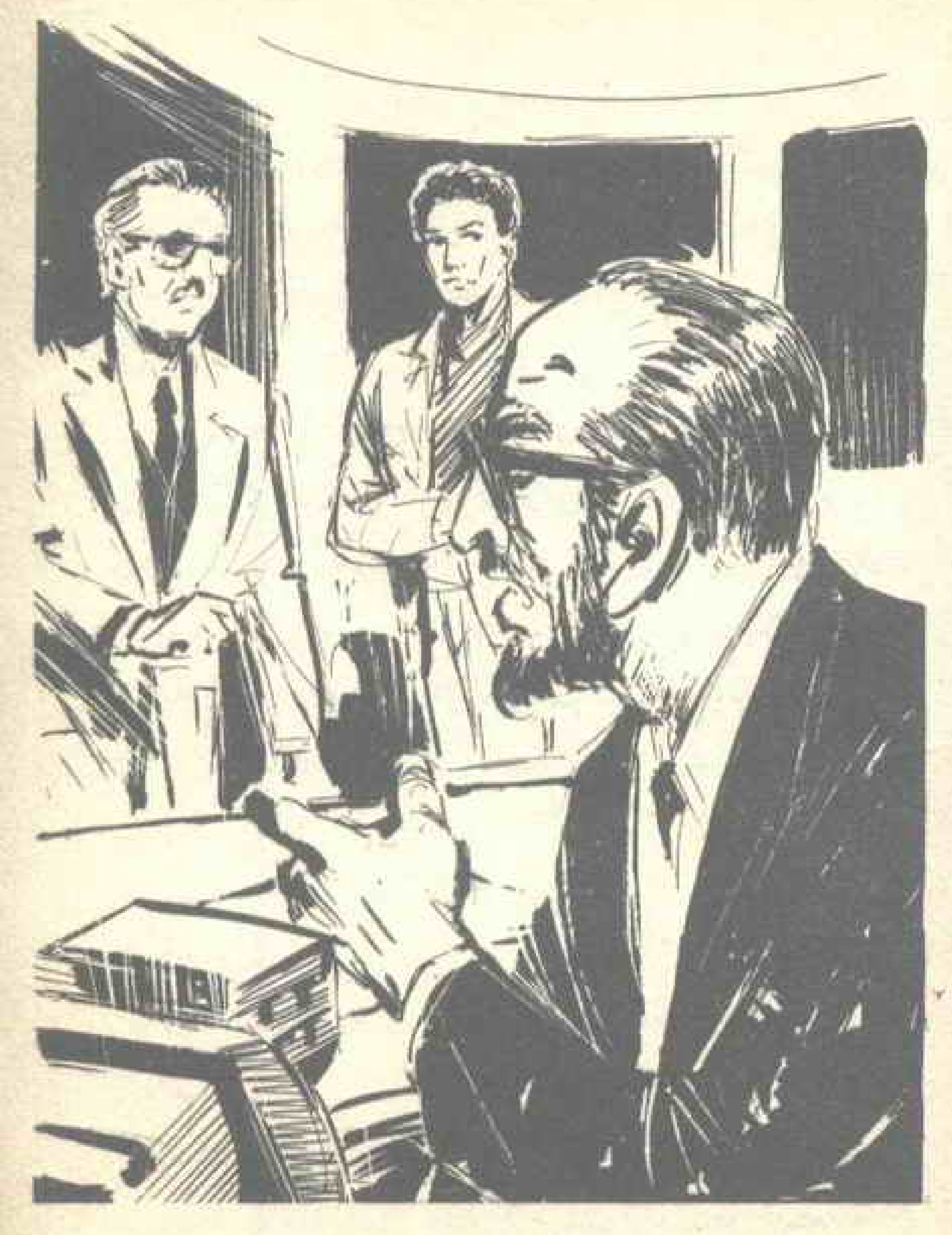
ــ ولكنك أجبت عنه بالإيجاب يا سيِّدى .

هتف الدكتور (إبراهيم) فى دهشة :

ــ أنا ؟!

أجابه (رمزى) فى غضب :

ــ نعم .. يبدو أنك قد نسيت أننى خبير بالطبِّ النفسىّ ، **ولقد قرأت الانفعالات التى ارتسمت على وجهك ، عند** سماعك سؤال الدكتور (حجازى) ، ووجدت أنها تجيب عن السؤال بالإيجاب ، على الرغم من اعتراضك واستنكارك .



ازداد شحوب وجه الدكتور (إبراهيم) ، وهو يغمغم فى حَنَق :
ــ إننا لا نرتكب جريمة .

امتقع وجه الدكتور (إبراهيم) ، وتراجع فى مقعده ، وهو ينقّل بصره بين وجهى (رمزى) والدكتور (حجازى) فى حَذَر وقَلَق ، قبل أن يغمغم فى خشونة :

ــ استنتاجك ليس دليلًا قانونيًّا .

أجابه الدكتور (حجازى) فى خشونة مماثلة :

ــ لسنا هنا بصدد مناقشة الأدلّة القانونية ، وإنما الأمر أكثر خطورة من ذلك .. إن وجود تجارب مماثلة هنا ، يَعْنِى أن كابوس (رمزى) كان نبوءة حقيقية ، وأن نظرية الجسم الأثيرىّ قريبة من الواقع ، ولو أنك رفضت الاعتراف بذلك ، وأصرَرْت على أن نتعامل على نحو قانونىّ بحت ، فأنا واثق من أن القائد الأعلى للمخابرات العلمية لن يتردَّد فى منحنا تصريحًا خاصًّا ، لاستجوابك فى هذا الشأن على نحو قانونىّ تمامًا .

ازداد شحوب وجه الدكتور (إبراهيم) ، وهو يغمغم فى حَنَق :

ــ إننا لا نرتكب جريمة .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وعقد كفَّيْه خلف ظهره ، وهو يستطرد فى توتُّر :

ــ إن عمليّات نقل المخ حُلْم يُراوِدُ كل الأطبّاء والعلماء ،

منذ زمن (ألبرت أينشتين) ، مبتكر النظرية النسبية .. فلقد شعر البعض بالأسف ؛ لأن هذه العقول الجبَّارة تنتهى وتموت ، بسبب بلى أجسامها ، وبدأ التفكير فى نقل أمخاخ العباقرة والعظماء إلى أجساد شابَّة نشيطة ، حتى نطيل عمر عبقرياتهم إلى الأبد .

غمغم (رمزى) فى استنكار :

ـ ولكن هذا نوع من الديكتاتوريَّة الفكريَّة ، فالموت هو سُنَّة الحياة ، والعبقريَّات تُولد مع العصور ، والله (سبحانه وتعالى) ، الذى منح العبقرية لمخلوق من مخلوقاته ، قادر على أن يمنح أضعافها لمخلوقات تأتى من بعد ذلك المخلوق .

عقد الدكتور (إبراهيم) حاجبيه ، ومطَّ شفتيه ، وهو يقول فى حزم :

ـ هناك عبقريَّات لا يمكن تعويضها .

أجابه الدكتور (حجازى) فى سُخريَة :

ـ القبور مليئة بأولئك الذين ظنُّوا أن الحياة لن تسير بدونهم .

هتف الدكتور (إبراهيم) فى جِدَّة :

ـ لسنا هنا بصدد مناقشة الجانب الفلسفىّ للتجربة ..

ثم زفر فى توتُّر ، مستطردًا :

ـ لقد كانت المشكلة الكبرى ، التى تواجه العلماء فى هذا الصَّدد ، هى أن النُّخاع الشوكىّ والأعصاب المخيَّة غير قابلة للالتئام ، بعد قطعها ، ومن المستحيل فى الوقت ذاته زرع المخ بنخاعه الشوكىّ ، وكل أعصابه .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى انفعال :

ـ ثم كان كشف اللِّيزر الجراحىّ ، وعقَّار (كرانيوهيل ٢٠٠٠) ، الذى يساعد على التئام الخلايا العصبيَّة ، بعد بترها من جسد الشخص ، الذى سنحصل على مُخِّه ، وزرع ذلك المخّ فى جسد سليم آخر .. وهنا عادت فكرة نقل المخّ تبرز إلى الوجود ، وراحت كل الدول تتنافس على التقدُّم فى هذا المجال .

صمت لحظة أخرى ، ثم أردف فى حزم :

ـ وهذا يُضْطَرُّ الجميع إلى إحاطة تجاربهم بالسِّرِّيَّة البالغة والمطلقة ، وبذل أقصى ما يمكنهم بذله ، لتحقيق تقدُّم ملموس فى هذا المجال .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ وهل نجحت التجارب فى هذا المجال ؟

شرَدَ الدكتور (إبراهيم) ببصره لحظات ، ثم أجاب :
ــ بالنسبة لحيوانات التجارب فقط .
سأله (رمزى) :
ــ وهل نجحت بنسبة جيِّدة ؟
مطَّ الدكتور (إبراهيم) شفتيه ، وقال :
ــ كلَّا .. إن الحيوان الذى يُنقل إليه المخ يحيا كحيوان وليد ، ويستغرق وقتًا طويلًا ، حتى يستعيد كل الخبرات والمعلومات ، التى يحويها المخ الذى نُقِلَ إليه ، ثم إنه .....
بتر عبارته فى تردُّد ، فسأله (رمزى) فى اهتمام :
ــ ثم إنه ماذا ؟
تردَّد الدكتور (إبراهيم) لحظة أخرى ، ثم أجاب فى خفوت :
ــ ثم إنه يتحوَّل إلى حيوان شرس عنيف .
هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة :
ــ لماذا ؟
هزَّ الدكتور (إبراهيم) رأسه نفيًا ، وقال :
ــ لا أحد يدرى .. إن تجاربنا لم تكتمل بعد .
ران الصمت طويلًا ، بعد عبارته الأخيرة ، ثم نهض

الدكتور (حجازى) و (رمزى) ، استعدادًا للانصراف ، وألقى (رمزى) سؤاله الأخير ، قائلًا :
ــ هل يَعْنِى هذا أنكم لم تبدءُوا تجاربكم على البشر بعد ؟
طال صمت الدكتور (إبراهيم) ، قبل أن يجيب فى برود :
ــ لا .. ليس بعد .
ثم أشاح بوجهه ، وأوْلاهما ظهره ، وهما يغادران مكتبه .. ولم يكد يسمع صوت باب المكتب يُغلق من خلفه حتى اعتدل ، وضغط زِرَّ جهاز التليڤيديو الموضوع أمامه ، وقال فى صرامة غاضبة :
ــ **اسمعنى جيِّدًا .. لقد بدأ ذلك الطبيب النفسىّ** ، عضو فريق الرائد (نور) ، يدسُّ أنفه فى شئوننا ، وانضمَّ إليه كبير الأطباء الشرعيِّين ، وهذا ينذر بالخطر ، وأرى أنه من الأفضل أن ننتقل إلى المرحلة القادمة من التجارب ، قبل فوات الأوان .
ثم أنهى الاتصال ، واستدار إلى جهاز كمبيوتر كبير ، وضغط أزراره فى اهتمام ، ثم تطلَّع إلى صورة المخ ، التى ارتسمت على شاشته ، وراحَ يفحصها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يغمغم :

ـ نعم .. إنه المخ الوحيد ، الذى يصلح لتجربتنا الجبّارة .

وكانت صورة المخ تحمل أسفلها عبارة واحدة ..

عبارة تحمل اسم الرائد (نور الدين محمود) ..

* * *



٣ ـ الميّت الحىّ ..

لزم (رمزى) والدكتور (حجازى) الصَمْت التامَ ، وهما يسيران جنبًا إلى جنب ، داخل ممرَّات المستشفى ، بعد مغادرتهما حجرة الدكتور (إبراهيم) ، حتى توقَّفا أمام نافذة حجرة العناية المركَّزة ، وتطلَّعا عَبْرها إلى جسدىْ (نور) و (سلوى) ، داخل الخيمتين البلاستيكيَّتيْن ، فغمغم (رمزى) :

ـ ما زلتُ أشعر بالقَلَق .

غمغم الدكتور (حجازى) بدوْرِه :

ـ وأنا أيضًا .

التفت إليه (رمزى) ، يسأله فى اهتمام :

ـ هل تظن أنه صادق فى كل ما قاله ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال فى تأكيد :

ـ كلَّا .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ أتظنهم قد بدءُوا تجاربهم على البشر .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنتِ شَفَة ، فازداد انعقاد حاجبَىْ (رمزى) ، وهو يعود إلى التطلّع إلى جَسَدَىْ (نور) و (سلوى) ، مغمغمًا :

ـــ هل تعلم يا دكتور (حجازى) ؟.. لقد بدأتُ أُومن بنظرية الجسم الأثيرىّ .

ابتسم الدكتور (حجازى) دون أن ينطق ، فاستطرد (رمزى) فى انفعال :

ـــ إننى أومن بأن (نور) يقود هذه العمليّة ، على الرغم من وقوعه فى غيبوبة عميقة .

فجأة .. راودهما شعور عجيب ..

شعور يدفعهما دفعًا إلى الالتفات خلفهما ..

وأطاعا ..

التفتا فى آن واحد ، ووقع بصراهما على عدد من الممرضين والممرضات ، يدفعون منضدة عمليات ، عَبْرَ ممّر المستشفى ، وخلفهم طبيب يُهَرْوِل فى انفعال واضح ، وفوق المنضدة استقر جسم رجل متين البُنْيان ، فى العقد الخامس من العمر ، مفتوح العينين ، متحجّرهما ، تحيط برأسه ضمادات كثيفة ..

وبلا تردُّد ، أو سبب مفهوم ، اعترض الدكتور (حجازى) طريق المنضدة ، وسأل الممرضين والممرضات فى خشونة :

ـــ إلى أين تذهبون بهذا الرجل ؟

توقَّف الجميع فى دهشة وقَلَق ، وتبادلوا نظرات خائفة ، حائرة ، على حين هتف الطبيب المصاحب لهم فى عصبيَّة وخشونة :

ـــ ليس هذا من شأنك يا رجل .. ابتعد .. إننا على عجلة من أمرنا .

تجاهل الدكتور (حجازى) قول الطبيب تمامًا ، واتجه نحو الرجل ، وتحسَّس وريده العنقى ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ عجبًا .. إنه حىّ على الرغم من أن ملامحه تؤكِّد أنه رجل ميِّت .

صاح الطبيب فى غضب :

ـــ وما شأنك أنت ؟

رفع الدكتور (حجازى) عينيه إليه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى ما إذا كنت تعرف من أنا أم لا ، ولكننى

الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، لجمهورية (مصر) العربية .

شحب وجه الطبيب لحظة ، ثم لم يلبث أن هتف فى حدّة :

ـ هذا لا يغيِّر من الأمر شيئًا ، فعملك يبدأ حيثما ينتهى عملنا ، ومادام هذا الرجل حيًا ، فلا شأن لك به .

ابتسم الدكتور (حجازى) فى سُخرِيَة ، وهو يقول :

ـ يبدو أن معلوماتك عن الطبّ الشرعىّ ضئيلة للغاية أيها الطبيب .. فعمل الطب الشرعىّ لا يقتصر على الأموات وحدهم ، بل يتّسِعُ ليشمل الأحياء أيضًا .

عقد الطبيب حاجبيه فى توتُّر ، وتطلَّع إلى ساعته فى قلق واضح ، ثم ألقى نظرة عصبيَّة على المريض ، الذى ظلَّ جامدًا ، مفتوح العينين ، فوق منضدة العمليَّات ، وقال :

ـ حسنًا .. حسنًا .. إننى أعتذر .. أفسح الطريق أرجوك ، فلابدَّ لنا من الوصول إلى المعمل ، قبل أن .....

قاطعه (رمزى) فى دهشة :

ـ المعمل ؟!.. وما شأن المعمل برجل غادر حجرة العمليات على التّوّ ؟

تضاعفت عصبيَّة الطبيب ، وهتف بصبر نافِد :

ـ ابتعدا .. إن الوقت لن يكفى لتلك المُهاترات

أجابه الدكتور (حجازى) فى حَزم وصرامة :

ـ كلَّا .. ليس قبل أن أفحص هذا الرجل .

تفجَّر غضب هادر فى ملامح الطبيب ، وصاح فى ثَوْرة :

ـ عليكما اللَّعنة !!

ثم استطرد موجِّهًا حديثه إلى الممرِّضين :

ـ أبعدوهما .. أبعدوهما بالقوَّة ، أو اقتلوهما إذا ما لزم الأمر .

وفوجئَ (رمزى) و الدكتور (حجازى) بالممرِّضين الثلاثة يستديرون إليهما ووجوهم تنذر بالوحشية والشراسة ، وقبضاتهم تنضمّ فى قوَّة وتحفُّز ..

وبات من الواضح أن الأمر سينقلب إلى معركة .. بل إلى مذبحة ..

* * *

كان من الضرورىّ طرح التساؤلات جانبًا ، ومواجهة ذلك الموقف أوَّلًا ..

وعلى الرغم من دهشة (رمزى) والدكتور (حجازى) البالغة ، إزاء ذلك التصرُّف الهمجىّ ، إلَّا أن الأوَّل تفادى

لكمة أحد الممرّضين فى براعة ، ثم كال له لَكْمَة قويّة ، ألقته بعيدًا ، وتحوّل إلى الثانى ، ولكمه فى معدته بأقصى ما يملك من قوّة ، على حين كان الممرض الثالث يشلّ حركة الدكتور (حجازى) ، والطبيب يصيح فى الممرّضات ، وهو يشاركهن دفع مِنضدة العمليات :

— إلى المعمل فى سرعة ، قبل فوات الأوان .

لم يفهم الدكتور (حجازى) أو (رمزى) ما الذى يَعْنِيه الطبيب بفوات الأوان ، إلّا أن العبارة زادت من حماسهما وحميّتهما ، فدفع الدكتور (حجازى) جسده إلى الخلف ، وضرب ظهر الرجل ، الذى يشلّ حركته بالحائط ، وأجبره على إرخاء ساعديه من حول وسطه ، على حين لكم (رمزى) الممرّض الآخر فى أنفه ، ثم اندفع الاثنان يَعْدُوَان خلف الطبيب والممرّضات ..

ونهض الممرّضون الثلاثة ، وتحاملوا على أنفسهم ، وانطلقوا يركضون خلف (رمزى) والدكتور (حجازى) ..

وتحوّل الأمر إلى مطاردة عجيبة ، عَبْرَ ممرات المستشفى ..

وأخيرًا .. لحق (رمزى) بالطبيب ، فجذبه من عنقه ، وهو يهتف فى غضب :

— أيها الحقير .. لقد أمرتهم بقتلنا .

دفعه الطبيب فى عصبيّة ، وهو يهتف فى هياج :

— ابْتعِد .. عليك اللّعنة !! إنك تُفسد كل شىء .

تشبّث به (رمزى) فى قوّة ، وكال له لكمة فى معدته ، وأخرى فى فكّه ، فسقط الطبيب أرضًا ، وهو يتأوّه فى ألم ، إلّا أنه صاح فى الممرّضات :

— أسْرِعْنَ إلى المعمل .. هيّا .

حاولت الممرّضات أن يدفعْن المنضدة إلى المعمل ، إلّا أن (رمزى) قفز يتعلّق بها فى قوّة ، وهو يهتف فى غضب :

— ليس قبل أن أفهم ما يَعْنِيه كل هذا .

كان الممرّضون فى تلك اللحظة قد لحقوا بالدكتور (حجازى) ، وشلّ أحدهم حركته فى قوّة ، على حين صاح الطبيب بالآخرَيْن :

— أبعدا ذلك الأحمق .. إنه لا يدرى ما الذى سيتسبّب فيه بعناده .

قفز الممرّضان نحو (رمزى) ، وجذباه بعيدًا فى قوّة ، وهو يصرخ فى هياج :

— أيها الأوغاد .. إنكم تدبّرون أمرًا ما .. إنكم ......

بتر عبارته فجأة ، وارتجف جسده فى قوّة ، وارتجفت

أجساد الجميع ، حينما تعالَى فجأة صوت مخيف ، أشبه بزمجرة وحشيّة متحشرجة ..

وتراجعت الممرِّضات بعيدًا عن مِنضدة العمليّات فى رُعب ، واتّسعت عينا الطبيب فى ذُعر ، وهو يغمغم :

ــ يا إلٰهى !!.. لقد مضى الوقت .

أما الممرِّضون ، فقد تخلّوا عن (رمزى) والدكتور (حجازى) ، وتراجعوا بدَوْرِهم فى ارتياع واضح ، وتساءل الأخيران فى حَيْرة عمّا يَعْنِيه كل هذا ..

وفجأة .. نهض المريض الممدَّد فوق منضدة العمليّات ..

نهض فى حركة حادّة قويّة ، ممزِّقًا أرْبطة جلديّة ، كانت تقيِّد مِعْصَمَيْه وقدَمَيْه إلى المِنْضَدة ..

نهض كوحش هائج ..

وقفز من فوق المنضدة ، يواجه الجميع فى شراسة مخيفة ..

وبدا جسده الضخم المفتول العضلات رهيبًا ، وهو يطلق مرّة أخرى تلك الزَّمْجَرة الوحشية ..

وفهم الدكتور (حجازى) الحقيقة على الفَوْر ..

فهم أن الرجل الواقف أمامه رجل ميِّت ..

ميِّت حىّ ..

* * *



نهض فى حركة حادّة قويّة ، ممزِّقًا أربطة جلديّة ، كانت تقيِّد مِعْصَمَيْه وقدميه إلى المنضدة ..

٤ — الرُّعب ..

لم يشعر الدكتور (حجازى) بالرُّعب فى حياته ، مثلما شعر به فى تلك اللحظة ، وهو يواجه ذلك الميِّت الحىّ ..

حتى المصطلح ذاته ، بدا فى رأسه عجيبًا ، مخيفًا ، وهو يتطلّع إلى ذلك الوحش الآدمى ، الذى راح ينقل نظرات عينيه الجامدتين بين الوجوه الشاحبة فى حَذَر ، ويطلق تلك الزمجرات المخيفة ..

وفجأة .. انقضَّ الوحش الآدمىّ على أقرب الممرِّضين إليه ، وانتزعه من مكانه فى غضب ، والمسكين يطلق صرخات رُعب هائلة ، قبل أن يدير الوحش عنقه فى قوّة ، فيصك مسمع الجميع صوت فقرات عنق الممرِّض ، وهى تتهشّم وتتخلع ، ويرون وجه الرجل المسكين يحتقن ، وعينيه تجحظان فى ألم ورُعب ، قبل أن يتهاوى رأسه ويصير جثة هامدة ..

وفى عنف ، ألقى الوحش الآدمىّ ضحيته جانبًا ، واستدار يواجه الآخرين ، وهو يطلق زمجراته المخيفة المُرْعِبة ..

وصرخت الممرِّضات فى رُعب هائل ، وسقطت إحداهنَّ فاقدة الوَعْى ، واندفعت الباقيات يركضن بأقصى سرعة ، وهنَّ يصرُخنَ ويُوَلْوِلْنَ ، ولحق بهن الممرِّضان الباقيان ، وجذب (رمزى) الدكتور (حجازى) بعيدًا ، وهو يتراجع هاتفًا فى ذهول :

— يا إلٰهى !!.. يا إلٰهى !!

وتسمَّر الطبيب فى مكانه ، وهو مُلْقًى أرضًا ، وراح يردِّد فى رُعْب وذُهول :

— كلّا .. ليس أنا .. ليس أنا .

انتقل بصر الوحش الآدمىّ إليه فى غضب ، ثم انقضَّ عليه ، وانتزعه بقبضتيه من مكانه ، ورفعه عاليًا فى قوّة فولاذيّة ، فصرخ (رمزى) :

— يا إلٰهى !!.. إنه سيقتله .

ثم اندفع نحوهما ، وقفز متعلّقًا بعنق الوحش الآدمىّ من الخلف ، فزمجر هذا الأخير فى غضب ، ودفع مرفقه فى معدة (رمزى) ، الذى شعر وكأن مطرقة فولاذية قد هوت على معدته ، وكادت تمزّقها تمزيقًا ، والضربة تلقيه بعيدًا ، وتضربه فى جدار الممرّ ، قبل أن يسقط أرضًا ، وهو يتلوّى من الألم ..

واتسعت عينا الدكتور (حجازى) فى رُعب ، حينما رأى الوحش الآدمىّ يرفع الطبيب من عنقه بيسراه ، ثم يضمّ قبضته ، استعدادًا للكمة بيمناه ، والطبيب يصرخ فى رُعب وذُعر ، وهو يلوّح بذراعيه ، ويقاوم فى شِدّة :

ــ كلّا .. ليس أنا .

وجحظت عينا (رمزى) ، وكاد الدكتور (حجازى) يفقد وعيه ، من شِدّة الرُّعب والاشمئزاز ، حينما هوت قبضة الوحش الآدمىّ على صدر الطبيب ، الذى أطلق صرخة رُعب وألم هائلة ، اختلطت بصوت قفصه الصدرىّ ، وهو يتحطّم تمامًا ، حينما اخترقت قبضة الوحش الآدمىّ صدره ، وارتطمت بعموده الفقرىّ ، وسال شلّال من الدماء من صدر الطبيب وجحظت عيناه فى قوّة ، والدماء تتدفّق من أنفه وفمه ، قبل أن يتهاوَى جُثّة هامدة ..

وفى عنف ، انتزع الوحش الآدمىّ قبضته الملوّثة بالدماء ، من صدر الطبيب ، وتركه يَهوِى أرضًا ، وسط بركة من دمائه ، ثم استدار يواجه ضحيّته الجديدة ..

رمزى ..

* * *

من الإجحاف أن نقول : إن (رمزى) قد شعر بالرُّعب ..

ليس لأنه لم يشعر به ، ولكن لأن ذلك الشعور الجارف ، الذى سرَى فى كل خليّة من خلاياه ، وانتفضت له كل قطرة دم فى عروقه ، يتجاوز الرُّعب بالتأكيد ..

يتجاوزه إلى ما يفُوق ذلك كثيرًا ..

إنه شعور أفقده كل سيطرته على جسده ، وكل قدرته على الحركة ، وهو يحدّق فى تلك القبضة القوية ، الملوّثة بالدماء ، التى امتدّت نحوه ، وإلى تلك العينين الخاليتين من الحياة ، اللتين تحدّقان فيه فى شراسة باردة مخيفة ..

شعور أعجزه عن المقاومة ، وجعله يستسلم تمامًا ، حينما جذبته قبضة الوحش الآدمىّ من سترته ، وأجبرته على الوقوف على قدميه ، قبل أن تنضمّ القبضة الأخرى ، وتستعِدّ للهُوِىّ على صدره ، كما فعلت الأخرى بالطبيب منذ لحظات ..

وفجأة .. دوّى صوت قوىّ ، يقول فى صرامة :

ــ قِفْ .

لم يدر (رمزى) عينيه إلى مصدر الصوت ، وإنما الوحش الآدمىّ فعل ..

أدار عينيه الخاملتين إلى مصدر الصوت فى بطء ، ثم أطلق زمجرة وحشية ، وألقى (رمزى) جانبًا ، واندفع نحو صاحب الصوت فى وحشيَّة ..

وهنا فقط أدار (رمزى) عينيه إلى مصدر الصوت ، ورأى الدكتور (حجازى) يلتصق بحائط الممرّ فى رُعْب ، والوحش الآدمىّ يتجاوزه فى سرعة ، وينقضّ على رجل من رجال أمن المستشفى ، أخذ يتراجع فى ذُعْر ، وهو يهتف :

— توقَّف .. توقَّف وإلَّا أطلقت عليك الأشعة .

لم يستجب الوحش الآدمىّ ، ولم يتوقَّف ..

وأطلق رجل الأمن أشعة مسدَّسه اللّيزرىّ نحو الوحش الآدمىّ ، الذى صرخ فى غضب وألم ، ورأى (رمزى) والدكتور (حجازى) خيط أشعة اللّيزر ، وهو يخترق ذراع الوحش الآدمىّ ، وينفذ من الناحية الأخرى ، دون أن يتوقَّف هو ، أو يقلِّل من سرعة اندفاعه نحو رجل الأمن ، الذى تراجع فى رُعْب ، وأطلق أشعته مرَّتين أخريَيْن ، فأصاب معدة الوحش وصدره ، قبل أن يبلغه هذا الأخير ، ويحمله فى غضب ، ثم يضربه بالحائط فى قوَّة وعُنْف ، ويقبض بقبضتيه على عنقه ، فلا يتركه إلَّا جثة هامدة ..

وبرز رجلا أمن آخران شاهدا ما حدث لزميلهما ، فانتزع كل منهما مسدَّسه الليزرىّ ، وراحا يمطران الوحش بأشعتهما القاتلة ، فنفض الدكتور (حجازى) رُعْبه وذُهوله ، وصاح فى قوَّة :

— على الرأس .. أطلقا على الرأس مباشرة .

وأطاع الرجلان فى سرعة ، وانطلقت أشعتا ليزر من مسدَّسيهما ، اخترقتا رأس الوحش الآدمىّ ، فأطلق صرخة هائلة أخيرة ، وواصل اندفاعه لحظة ، ثم هوَى عند أقدامهما جثة هامدة ..

وساد هدوء عجيب مخيف فى المكان ..

وراح الجميع ينقِّلون أبصارهم بين جثث الضحايا فى ذُهول وذُعْر ، قبل أن يغمغم أحد رجلى الأمن فى ارتياع :

— يا إلهى !!.. ماذا يحدث هنا ؟

اقترب الآخر من جثة الوحش الآدمىّ فى حَذَر ، وتطلَّع إلى وجهه ، قبل أن يهتف فى ذُهول :

— مستحيل !. هذا الرجل ميِّت .. لقد نقلته بنفسى إلى ثلَّاجة المستشفى منذ ثلاثة أيام .

تبادل (رمزى) والدكتور (حجازى) نظرة سريعة ، ثم

أسرعا نحو جثة الرجل ، وسأل (رمزى) رجل الأمن فى انفعال :

ـ أأنت واثق مما تقول ؟

أجابه الرجل فى ذهول :

ـ تمام الثقة .. لقد أصيب بنوبة قلبية هنا ، وفشلت كل الوسائل لإسعافه ، وقرَّر الأطباء أنه قد مات ، فقمت بنقله بنفسى إلى ثلَّاجة المشرحة .

جاء من خلفه صوت صارم ، يقول فى غضب :

ـ حاول أن تتأكَّد أيها الحارس ، فشهادتك هذه بالغة الخطورة .

التفت الحارس فى ذُعر ، نحو مصدر الصوت ، وشحب وجهه ، وهو يغمغم فى تراجع :

ـ كلَّا .. لست متأكِّدًا تمامًا يا سيِّدى .

كان صاحب الصوت هو الدكتور (إبراهيم) ، الذى وقف عاقدًا حاجبيه فى غضب وصرامة ، فهتف (رمزى) فى وجه الحارس فى حِدَّة :

ـ ماذا أصابك ؟!.. لقد كنت تؤكِّد منذ لحظات أن هذا الرجل مات منذ ثلاثة أيام .

أشاح الحارس بوجهه ، وهو يغمغم :

ـ المَوْتَى لا يعودون إلى الحياة يا سيِّدى .

صاح (رمزى) فى غضب :

ـ ماذا يحدث هنا بالله عليكم ؟.. لقد حدثت أعنف مجزرة شاهدتها فى حياتى ، ولقى ثلاثة رجال مصرعهم فى وحشية بالغة ، بينهم طبيب و .....

قاطعه الدكتور (إبراهيم) ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ طبيب ؟!

أشار الدكتور (حجازى) إلى جثة الطبيب ، وهو يقول فى مرارة :

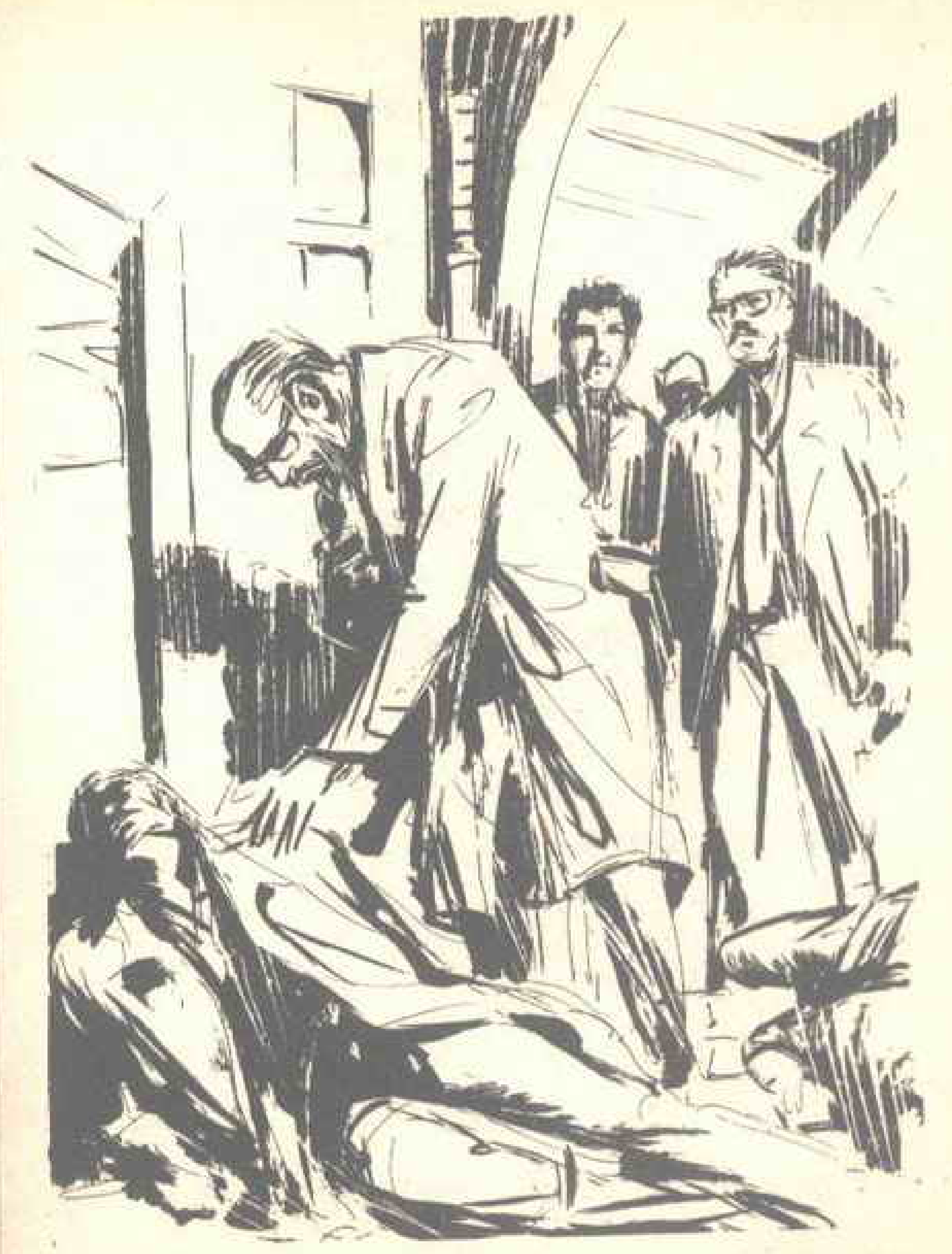
ـ هاهو ذا .

أسرع الدكتور (إبراهيم) نحو جثة الطبيب ، ولم يكد يرى ما أصابه ، حتى امتقع وجهه فى شِدَّة ، وغمغم فى هَلَع وألم :

ـ يا إلهى !!.. (منير) ؟!

هتف به الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـ لحظة .. أهـو أحـد المشرفين على علاج (نور) و (سلوى) ؟!



أسرع الدكتور (إبراهيم) نحو جثة الطبيب ، ولم يكد يرى ما أصابه ، حتى امتقع وجهه فى شِدَّة ..

أومأ الدكتور (إبراهيم) برأسه إيجابًا ، وهو يشيح بوجهه فى ألم ، فالتقت نظرات (رمزى) والدكتور (حجازى) ، قبل أن يقول هذا الأخير فى حزم غاضب :

ــ يبدو أنك تصرّ على خداعنا يا دكتور (إبراهيم) .. فلقد بدأتم تجاربكم فى عمليات نقل المخ على البشر بالفعل .

عقد الدكتور (إبراهيم) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ كلَّا .. ربَّما كان (منير) يجرى تجاربه سِرًّا .

ساد الصمت لحظة ، قبل أن يقول لـ (رمزى) فى مرارة :

ــ لن يمكنه أن ينفى تلك التُّهمة ، وأنت تعلم أن المَوْتى لا يتكلمون .

أجابه الدكتور (إبراهيم) فى برود :

ــ أنتما تدَّعيان العكس .

أطلَّ غضب شديد من عينى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ــ اسمع يا دكتور (إبراهيم) .. لقد مات رجل هنا منذ ثلاثة أيام ، بنوبة قلبيَّة حادَّة ، ولكنكم احتفظتم بجسده سليمًا ،

داخل ثلاجة المستشفى ، ثم نقلتم إليه مُخًا حيًا ، فصنعتم مَسْخًا بشريًا ، يحمل جسدًا آدميًا ، وطبيعة وحشية بدائية ، وسأسعى جاهدًا لإثبات ذلك .

هزَّ الدكتور (إبراهيم) كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ افعل ما بدا لك ، ولكن النتائج التى ستتوصَّل إليها ستكون مضحكة سخيفة .

ثم أشار إلى الجثث الملقاة حوله ، مستطردًا فى برود :

ـ إن أقصى ما ستتوصَّل إليه هو أن رجلًا ميتًا عاد إلى الحياة ، بواسطة طبيب لقِىَ مصرعه ، وأن هذا الرجل الميِّت قتل ثلاثة من الأحياء .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـ يمكننى أن أثبت ما هو أكثر من ذلك .

ابتسم الدكتور (إبراهيم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ يمكنك أن تحاول .

أجابه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ـ سأفعل بالتأكيد .. وسأبدأ بفحص جثة ذلك الميِّت الحىّ .

قال الدكتور (إبراهيم) فى حزم :

ـ هذه الجثة لن تغادر المستشفى .

أجابه الدكتور (حجازى) فى صرامة :

ـ سأفحصها هنا ، فى مشرحة المستشفى .

صمت الدكتور (إبراهيم) لحظة ، وهو يتبادل نظرات متحدِّية مع الدكتور (حجازى) ، ثم قال فى برود :

ـ حسنًا .. افعل ما يحلُو لك .

قال (رمزى) فى صرامة :

ـ سنفعل بالطبع يا دكتور (إبراهيم) .. ولكننى سأطلب رجلَىْ أمن ، من إدارة المخابرات العلميَّة أوَّلًا ، لحراسة (نور) وزوجته .

حَدَجَه الدكتور (إبراهيم) بنظرة قاسية غاضبة ، ثم استدار منصرفًا ، وهو يغمغم :

ـ افعل ما يرُوق لك .. لقد سئِمت هذا الأمر كله .

ثم استطرد فى صوت خافت ، لم يسمعه سواه ، وهو يبتعد عنهما :

ـ وسئِمت تدخُّلكما فى شئوننا .. وسأزيحكما عن الطريق ، حتى ولو كان الثمن هو ...

صمت لحظة ، ثم أردف فى حزم :

ـ قتلكما ..

* * *

٥ ــ قاعة الأهوال ..

كانت مشرحة المستشفى عبارة عن قاعة واسعة ، تراصَّت فيها موائد الفحص ، التى تحتلّ كلًّا منها جثّة هامدة ، وكان (رمزى) والدكتور (حجازى) يفحصان جثة ذلك الوحش الآدمىّ ، فوق منضدة تتوسّط المكان ، الذى بدا رهيبًا مخيفًا ، باردًا ، حتى أن الدكتور (حجازى) ، الذى اعتاد التعامل مع المَوْتى ، قد شعر بالتوتُّر والقلق ، وهو يقول فى أثناء فحصه للجثة :

ــ من الواضح أن عمر خلايا الجسد يختلف تمامًا عن عمر خلايا المخ يا (رمزى) ، وأن هذا الرجل قد أُجريت له عملية نزع مُخّ ، وزرع آخر ، منذ يومين على الأقل ، كما أنه قد حُقِنَ بمخدِّر قصير المدى ، قبل مصرعه بساعة واحدة .

قال (رمزى) فى انفعال :

ــ إذن فهذا الرجل هو أوّل تجارب نقل المخ البشرى .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ــ ولكن لماذا حقنوه بمخدِّر قصير المفعول ؟.. لماذا لم يستخدموا مخدِّرًا قوىَّ المفعول .

أشار الدكتور (حجازى) إلى مُخّ الرجل ، قائلًا :

ــ حتى لا يؤذى خلايا المخ ، التى لم تعتد ذلك الجسد الجديد بعد .

زفر (رمزى) فى قوّة ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !!.. لقد كانت تجربة رهيبة .. إننى لم أشعر بكل هذا القدر من الرُّعب فى حياتى أبدًا .

وافقه الدكتور (حجازى) بإيماءة من رأسه ، وبتنهيدة حارّة ، قبل أن يقول :

ــ لقد كان ذلك يتّفق مع ما أخبرنا به الدكتور (إبراهيم) .. الوحشية غير المفهومة ، والتصرُّفات البدائيّة الهمجيّة .. نفس ما تصاب به حيوانات التجارب .

هزّ (رمزى) رأسه ، وهو يقول :

ــ وماذا عن تلك القوّة الهائلة ؟

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه مفكّرًا ، وهو يقول :

ــ يبدو أنها عَرَضٌ جانبى ، يزول بمرور الوقت .. ولكن السؤال هو : لماذا كان الدكتور (منير) يتعجَّل نقل ذلك الرجل إلى المعمل ؟.

أجابه (رمزى) :

ــ لقد كان يعلم أنه سيصاب بذلك الهياج الوحشى ، وأراد نقله إلى المعمل ، قبل أن يحدث هذا .

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ ليس هذا ما أعْنيه يا (رمزى) .. وإنما أقصد ما الذى يوجد داخل المعمل ؟.. وكيف يمكنهم هناك السيطرة على ذلك الهياج الوحشىّ ؟

أجابه (رمزى) فى حماس :

ــ إجابة هذين السؤالين تحتاج إلى دخول ذلك المعمل .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ــ وهل تظن الدكتور (إبراهيم) سيسمح لنا بذلك ؟.. صحيح أنه منحنا كل التسهيلات اللازمة ؛ لفحص جثة ذلك الوحش الآدمىّ فى المستشفى ، وحرص على أن يقدِّم لنا المشروبات الساخنة ، ودعوة لمشاركته طعام الغذاء ، ولكن هذا لايَعْنِى أبدًا أنه ينوى أن يعاوننا للوصول إلى الحلّ .

هتف (رمزى) فى إصرار :

ــ إذن فلنتسلَّل إلى المعمل ، على الرغم من أنفه .

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ لن يكون ذلك بالبساطة التى تتصوَّرها .. أُراهنك أنه سيحيط المعمل بحراسة مشدَّدة ، لمنع دخولنا إليه بالذات .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ فلنستصدر أمرًا بتفتيش المعمل إذن .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ــ مستحيل !! هل نسيت قانون حُرِّيَّة البحث العلمىّ ، الذى يمنحه الحقّ فى إخفاء تجاربه المعملية ، حتى يعلنها فى الوقت الذى يناسبه ؟

ثم التفت إلى المخ البشرىّ ، مستطردًا فى اهتمام :

ــ دَعْنا نستكمل فحصنا أوَّلًا ، ثم ......

بتر عبارته بغتة ، وتراجع فى دهشة ، وكأنما صعقه تيار كهربىّ ، فهتف به (رمزى) فى توتُّر :

ــ ماذا حدث يا دكتور (حجازى) ؟

حدَّق الدكتور (حجازى) فى المخّ فى ذهول وتوتُّر ، ثم غمغم فى خفوت :

ـــ هذا المخ .. إنه .. إنه .....

هتف به (رمزى) ، وهو يتطلَّع إلى المخ الساكن فى حَيْرة :

ـــ إنه ماذا ؟ .

رفع الدكتور (حجازى) عينيه إليه فى ارتياع ، وهو يغمغم :

ـــ لقد ابتعد عن يدى .. ابتعد بإرادته ، قبل أن تصل يدى إليه .

* * *

مضت لحظة من الصَّمْت والذُّهول ، والاثنان يحدِّقان فى المخ الساكن ، قبل أن يغمغم (رمزى) :

ـــ ولكن هذا مستحيل يا دكتور (حجازى) .. إنه الآن مجرَّد خلايا بشرية ميتة ، وحتى لو كان حيًّا ، فالمخ لا يملك إرادة مستقلَّة أبدًا .

ثم مدَّ أصابعه فى حَذَر ، وتحسَّس المخ ، وقال :

ـــ هاهو ذا .. إنه لم يعترض أو يبتعد .

تراجع الدكتور (حجازى) فى ذعر ، وهو يهتف :

ـــ ولكنه ينبض .. انظر إليه .. إنه ينبض كما لو كان قلبًا حيًّا .

بلغت دهشة (رمزى) ذِرْوَتها ، وهو يحدِّق فى المخ ، الذى بدا له ساكنًا مستقرًّا ، وقال فى حَيْرة :

ـــ كلَّا يا دكتور (حجازى) .. إنه لا يفعل .. إنه ساكن كأىِّ جسد ميِّت .

ثم ربَّت على كتفه ، مستطردًا فى إشفاق :

ـــ يبدو أنك تحتاج إلى بعض الرَّاحة ، فلقد بذلت مجهودًا عنيفًا اليوم .

أغلق الدكتور (حجازى) عينيه ، وهزَّ رأسه ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. يبدو ذلك .. إننى أشعر بإرهاق شديد بالفعل .

ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يردف :

ـــ إن الموتى لا يعودون إلى الحياة .. أليس كذلك ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى خبت كل أضواء القاعة فجأة ، فيما عدا مصباحًا خافتًا أحمر اللون ، يعلو باب ثلَّاجة المشرحة ، أضفى على القاعة مشهدًا مخيفًا رهيبًا ، فهتف (رمزى) فى توتُّر :

ـــ ماذا حدث ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى توتُّر مشابه :

ـــ يبدو أن آلة الطاقة قد أصيبت بعطل مفاجئ .

ثم اتجه نحو باب المشرحة ، مستطردًا :

ـــ دَعْنا نغادر هذا المكان الكئيب ، قبل أن نفقد أعصابنا ، وسنعود فيما بعد ، لإتمام عملنا ، حينما يتمّ إصلاح آلة الطاقة و ....

بتر عبارته ، وعقد حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يجذب مقبض الباب المعدنىّ فى قوّة ، فلحق به (رمزى) ، وهو يسأله :

ـــ ماذا هنا ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، وقد بلغ توتُّره ذِرْوَته :

ـــ يبدو أن هذا الباب اللّعين مُغلق من الخارج فى إحكام .

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ـــ ماذا تعْنِى ؟.. هل سجننا أحدهم هنا ؟

ثم اتجه نحو جهاز اتصال صغير ، مثبَّت إلى جوار الباب ، وضغطه هاتفًا فى انفعال :

ـــ افتحوا هذا الباب اللّعين .. لقد أغلقه أحدهم من الخارج .

ولكن ما من مجيب ..

ظلَّ جهاز الاتصال صامتًا ، ساكنًا ، وانتقلت إليه برودة القاعة ، فتبادل (رمزى) والدكتور (حجازى) نظرة مُفْعَمَة بالتوتُّر ، وغمغم الأخير :

ـــ سينتبهون إلى ذلك إن عاجلًا أو آجلًا بالتأكيد .

هتف (رمزى) فى توتُّر :

ـــ المهمّ أن يفعلوا ، قبل أن نلحق بالموْتى ، الذين يحيطون بنا من كلّ جانب .

أجبر الدكتور (حجازى) نفسه على الابتسام ، محاولًا التخفيف من توتُّر الموقف ، وهو يغمغم :

ـــ إن من يحيطون بنا الآن أكثر مسالمة ممَّن بالخارج .. أليس كذلك ؟

التفت (رمزى) إلى القاعة ، وهو يقول :

ـــ لأنهم مَوْتى و .....

بتر عبارته بغتة ، والتصق بالباب المعدنىّ ، وهو يشهق فى رُعْب هائل ، ملأ كل خلْجة من خلَجاته ، فهتف به الدكتور (حجازى) :

ـــ ماذا حدث ؟

أجابه فى صوت شديد الخفوت ، من شِدَّة الرُّعْب :

ـــ المَوْتى .. لقد استيقظوا ..

استدار الدكتور (حجازى) إلى قاعة المشرحة فى حِدَّة ، والتصق بدوْره بالباب المعدنىّ فى رُعْب ، فقد كان المَوْتى ينهضون من موائد الفحص .. ويتجهون إليهم فى بطء وصمت ..

* * *



بتر عبارته بغتة ، والتصق بالباب المعدنىَّ ، وهو يشهق فى رُعْب هائل ، ملأ كل خلجة من خلجاته ..

٦ ـ الكابـوس ..

عقد الدكتور (إبراهيم) حاجبيه ، وهو يواجه الأطبَّاء الثلاثة ، (صفوت) و (وحيد) و (عامر) ، قائلًا فى صرامة :

ـ يؤسفنى أن تجاربكم لم تحقِّق النتائج المنشودة بعد أيها السادة ، وتباطؤكم الشديد فى الانتقال من خطوة إلى أخرى ، يعرِّضنا جميعًا لخطر شديد .

أجابه الدكتور (صفوت) فى توتُّر :

ـ لا يمكننا الانتقال من خطوة إلى أخرى ، دون دراسة كل تفاصيل ونتائج الخطوة ، التى نتوقَّف عندها يا سيِّدى .

صاح فى غضب :

ـ عجبًا !!.. لماذا تجاوزتم هذا المبدأ إذن ، وعاونتم (منير) فى إجراء تجربته ، على ذلك الرجل ؟

أجابه الدكتور (عامر) :

ـ لقد كانت تجربة (منير) سليمة ، ولكن تدخُّل هذين الرجلين أفسد كل شىء .. إن الشخص الذى يُنقل إليه المخ

يحتاج إلى شهر كامل ، حتى يمكن للمخ التكيُّف مع الجسد الجديد ، وإطاعة أوامره ، والتخلي عن انفعالاته البدائية ، واستخدام المنطق البشرىّ فى التعامل مع الأمور .

مال الدكتور (إبراهيم) نحوه ، قائلًا فى حِدَّة :

ـــ اسمع يا (عامر) .. إننا نخاطر جميعًا بمستقبلنا ، وتاريخنا الطبىّ الحافل ، فى سبيل تحقيق وإنجاز هذا النصر العلمىّ ، ولا ينبغى أن نسمح لأى كائن من كان بإعاقة عملنا ، أو الوقوف فى سبيله .

عقد الدكتور (وحيد) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ إن دراساتى تؤكِّد أن أمخاخ العباقرة يمكنها أن تتكيَّف بسرعة خارقة ، مع الأجساد الجديدة ، ونحن نجرى تجاربنا كلها ، من أجل الحفاظ على أمخاخ العباقرة وخدهم ، فلِمَ لا ننتقل إلى اختبار ذلك مباشرةً ؟

لوَّح الدكتور (إبراهيم) بذراعه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ إن المخ العبقرىّ الوحيد ، الذى يمكننا الحصول عليه الآن ، هو مخ ذلك الرائد ، الذى يرقد إلى جوار زوجته ، فى غرفة العناية المركَّزة .. ولقد كان من المفروض أن ننقله إلى جسد آخر ، بعد أسبوع واحد ، ولكنَّ هذين الرجلين ظهرا فجأة ؛ ليفسدا كل شىء .

تمتم الدكتور (صفوت) فى عصبيَّة :

ـــ ولقد أوقفا رجلين من رجال أمن المخابرات العلميَّة ، على باب حجرة العناية المركَّزة ، وهما يرمقان كل من يدخل إليها بنظرات متشكِّكة مستريبة ، ولن يمكننا أبدًا أن نحصل على مخ ذلك الرائد ، وسط هذه الحراسة المشدَّدة .

هتف الدكتور (عامر) فى حَنَق :

ـــ كان ينبغى أن نتخلَّص من هذين الرجلين على الفور .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفتى الدكتور (إبراهيم) ، وهو يقول :

ـــ اطمئن .. لقد انتهى أمرهما تقريبًا ، فهما سيغادران هذا المستشفى جثتين هامدتين ، أو مصابين بالجنون على الأقل .

تطلَّع الأطباء الثلاثة إلى وجهه فى دهشة ، وهتف الدكتور (وحيد) :

ـــ ماذا فعلت بهما ؟

هزَّ كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا شىء .. لقد تركتهما وهما يفعلان بنفسيهما ما يريحنا منهما .

واتسعت ابتسامته الساخرة المخيفة ، وهو يستطرد فى بطء :

— إنهما يعيشان الآن أكثر لحظات الرُّعب فى حياتيهما .. أكثرها على الإطلاق ..

* * *

لم يكن الدكتور (إبراهيم) منصفًا ، حينما ذكر أن ما يعيشه (رمزى) والدكتور (حجازى) هو لحظات رُعب ..

الواقع أنهما كانا يعيشان كابوسًا ..

كابوسًا اجتمعت فيه كل قواعد الرُّعب المعروفة ..

قاعة رهيبة مغلقة فى إحكام ..

ضوء أحمر خافت مخيف ..

ومَوْتَى عادُوا إلى الحياة ..

ولدقيقة كاملة لم ينبس كلاهما بحرف واحد ، أو تبدر منه بادرة واحدة تشفّ عن سريان الحياة فى جسده ، باستثناء قلبين يخفقان فى قوّة وعُنف ..

كان المشهد يبدو وكأنما عاد الموتى إلى الحياة ، وانتقل الأحياء إلى عالَم المَوْت .

ثم غمغم (رمزى) فى ارتياع :

— يا إلهى !!..

وراح الدكتور (حجازى) يدقّ الباب بقبضتيه فى قوّة ، وهو يهتف :

— افتحوا أيها الأوغاد .. افتحوا ذلك الباب اللَّعين .

ولمّا لم يتلقّ جوابًا ، عاد يلتفت إلى تلك الظاهرة المذهلة ، وهو يهتف :

— مستحيل !.. الموتى لا يعودون إلى الحياة أبدًا .

وغمغم (رمزى) :

— إنها خدعة .. خدعة ولا شكّ .

قفز الدكتور (حجازى) مبتعدًا عنه ، وهو يصرخ :

— احترس يا (رمزى) .

التفت (رمزى) فى رُعب ، فرأى أحد المَوْتى ينقضُّ عليه ، فتفادى انقضاضته فى صعوبة ، وكال له لكمة هائلة ، وأدهشه أنه لم يشعر بأدنى ألم فى قبضته ، من أثر اللَّكمة ، على الرغم من أن جسد الجثة تهاوَى إلى الخلف ، وكأنما أصابته اللَّكمة ، فالتفت إلى الدكتور (حجازى) ، ورآهم يحيطون به ، ورأى أحدهم يقبض على عنقه ، ويعتصره فى قوّة ، فاندفع نحوه صارخًا :

ــ اتركوه أيها الملاعين .. اتركوه .

وضمَّ قبضته ، وهوَى بها على أقرب الأجسام إليه ، وشعر باللَّكمة فى قبضته هذه المرَّة ، وسمع صوت جسد يَهوِى أرضًا ، فتراجع ، وحدَّق فى ذهول فى جسد الدكتور (حجازى) ، الذى سقط تحت ثقل أجسادهم ، والتفُّوا هم حوله ، وراحُوا يلتهمون جسده فى مشهد مُرَوِّع ، وصرخ (رمزى) ، وهو يتراجع فى رُعْب :

ــ كلَّا .. كلَّا .. مستحيل !! هذا كابوس !! كابوس !!

وارتجف جسده فى قوَّة ، حينما رآهم يلتفتون إليه جميعًا ، ثم ينقضُّون عليه فى وحشية مخيفة ، وصرخ :

ــ كلَّا .. كلَّا .. إنه كابوس !! كابوس !!

* * *

قال الدكتور (وحيد) فى انفعال ، بعد أن استمع إلى الدكتور (إبراهيم) فى اهتمام :

ــ حسنًا فعلت يا دكتور (إبراهيم) .. إن هذا يكفى لإبعادهما عن القضية على الأقل .

ابتسم الدكتور (إبراهيم) فى فخر ، وهو يقول :

ــ أو لجعل شهادتهما عديمة القيمة على الأقل .

غمغم الدكتور (صفوت) :

ــ فكرة رائعة يا دكتور (إبراهيم) .. أُهنئك .

حملت ابتسامة الدكتور (إبراهيم) الكثير من الزَّهْوِ ، قبل أن تتلاشى وسط ملامحه الصارمة ، وهو يقول :

ــ والآن .. ما اقتراحاتكم بشأن مخ هذا الرائد ؟

هزَّ الدكتور (عامر) رأسه ، وهو يقول فى ضيق :

ــ إن الحصول على مخّه مستحيل ، ما دام يرقد داخل حجرة العناية المركَّزة ، تحت حراسة رجلَي الأمن .

عقد الدكتور (إبراهيم) حاجبيه مفكِّرًا ، وطال صمته بعض الوقت ، ثم تألَّقت عيناه ، وهو يقول فى حزم :

ــ هذا صحيح .. لن يمكننا الحصول على مخّه وهو حىّ .

ثم أردف فى صرامة مخيفة :

ــ لذا فمن الضرورىّ أن يموت الرائد (نور) .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يتابع فى بطء :

ــ رسميًّا .

* * *

تراجع (رمزى) فى رُعْب ، وتلك المسوخ الرهيبة تقترب منه فى بطء ، وعيونها تحمل كل الوحشية والشراسة ، حتى التصق بباب المشرحة ، وراح يردِّد فى ذهول :

— مستحيل !!.. مستحيل !!.. لا يوجد مثيل لتلك الظاهرة فى تاريخ العِلم كله .. أو حتَّى فى تاريخ المنطق .. مستحيل !!..

ثم استدار فى سرعة ، وراح يدقُّ الباب المعدنىَّ بقبضتيه ، صارخًا فى يأس :

— النجدة !! النجدة !!

وفجأة .. تحرَّك الباب المعدنىّ ، وهتف (رمزى) يستحث من يفتحه :

— بسرعة .. بسرعة ..

ثم تراجع فجأة مصعوقًا ، حينما رأى عددًا من المَوْتَى الأحياء يحدِّقون فى وجهه على الجانب الآخر للباب ..

لقد أحاطوا به من كل جانب ..

وصرخ صرخة أخيرة :

— مستحيل !!..

ثم سقط فاقد الوعى ، واقترب منه زوج من الأقدام فى بطء ..

وخيَّم السكون الرهيب على المكان ..

* * *

٧ — عالَم الضَّياع ..

« اهدأ يا فتى .. اهدأ .. » ..

تسلَّلت تلك العبارة إلى عقل (رمزى) فى خفوت ، وراحت تعلو وتعلو ، وشعر بقبضتين قويتين تحيطان بمعصميه ، وتقيِّدان حركته ، فراح يقاومهما فى عنف ، وهو يهتف :

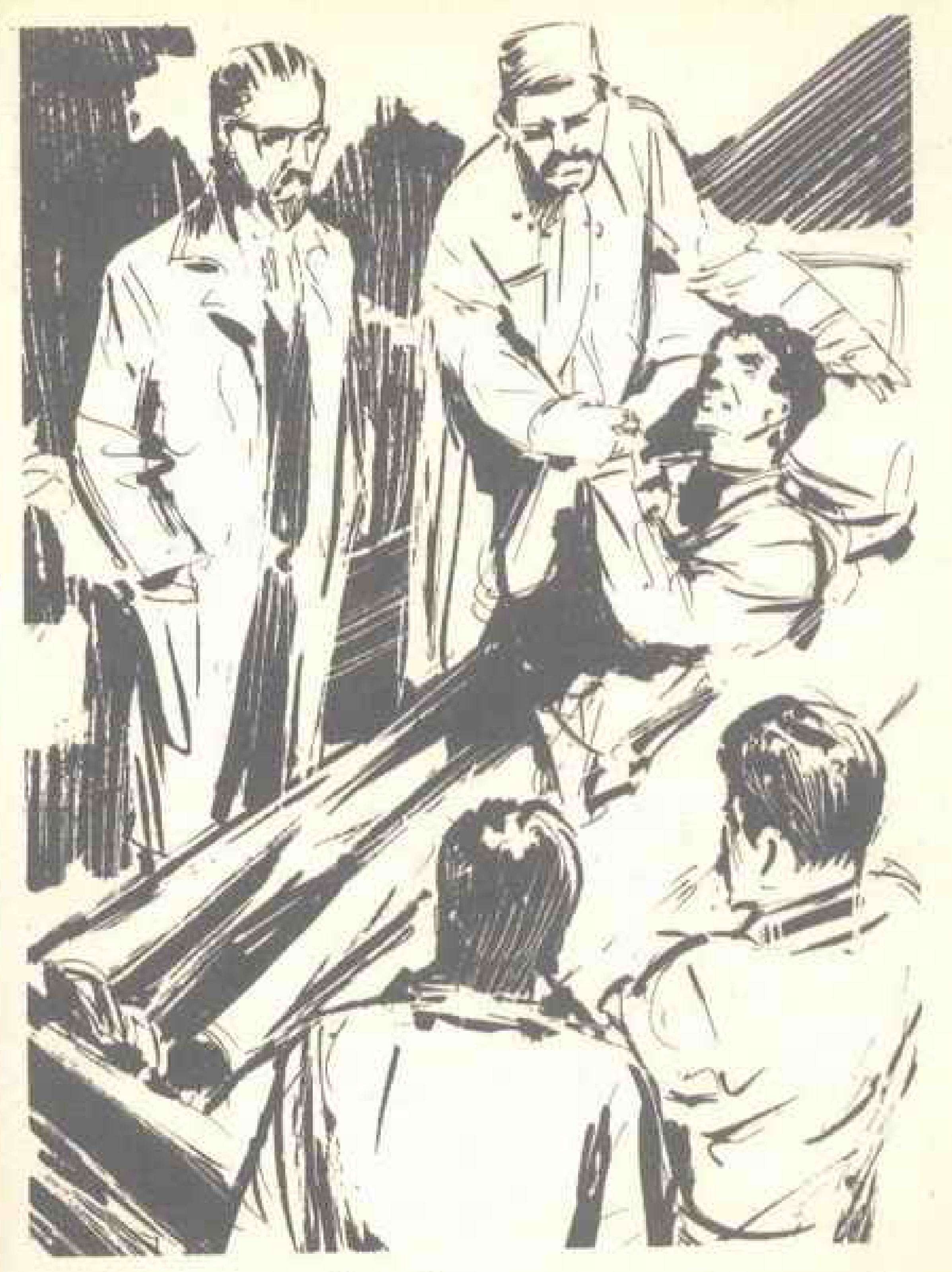
— كلَّا .. كلَّا .. ابتعدُوا .

سمع صوتًا مألوفًا يقول فى أسف :

— إنه مصاب بصدمة عصبيَّة شديدة .

أعادت إليه العبارة إحساسه بما حوله فجأة ، فتوقَّف عن المقاومة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ، وأدهشه أنه يرقد فوق فراش صغير ، داخل حجرة من حجرات المستشفى ، وحوله عدد من الأطبَّاء ، وممرِّض ضخم يمسك بمعصميه فى قوَّة ، وإلى جواره الدكتور (إبراهيم) يتطلَّع إليه فى برود ، فهتف فى دهشة :

— أين أنا ؟



أعادت إليه العبارة إحساسه بما حوله فجأة ، فتوقَّف عن المقاومة ، وفتح عينيه دفعة واحدة ..

أجابه أحد الأطبّاء فى إشفاق :

ــ لقد أصابتك نوبة من الانهيار العصبىّ داخل المشرحة .. يبدو أنك لم تعْتد البقاء مع المَوْتَى .

صاح ، وقد عاوده ذلك الشعور بالذُّعْر :

ــ لقد عادُوا إلى الحياة .

عقد الطبيب حاجبيه فى دهشة ، وهو يسأله :

ــ من الذين عادُوا إلى الحياة ؟

صاحَ (رمزى) فى عصبيَّة :

ــ المَوْتَى .. الموتى الذين يملئون المشرحة .. لقد عادوا إلى الحياة فجأة ، وهاجمونا أنا والدكتور (حجازى) .. لقد رأيتهم يلتهمون جسده .

حدَّق الطبيب فى وجهه بذهول ، وهو يردِّد :

ــ يلتهمون جسده ؟!

ثم أشار إلى فراش مجاور ، وهو يستطرد فى دهشة :

ــ ولكن جسده سليم تمامًا ، فيما عدا تلك الكَدْمة ، التى أصبْتَه أنت بها ، عندما لكمتَه .

تطلَّع (رمزى) فى ذهول إلى الفراش المجاور ، حيث يرقد الدكتور (حجازى) فاقد الوَعْي ، وغمغم فى حَيْرة بالغة :

— كيف ؟!.. لقد رأيتهم بنفسى ..

قاطعه الدكتور (إبراهيم) فى برود :

— إنك لم ترَ شيئًا يا فتى .. كل ما حدث هو أن آلة الطاقة قد أصيبت بعطل طفيف ، فأظلمت قاعة المشرحة ، ويبدو أن هذا قد أصابك برُعب هائل ، وانهيار عصبىّ عنيف ، فلكمت الدكتور (حجازى) ، وتصوَّرت أنك ترى المَوْتى يعودون إلى الحياة ، ورحت تضرب الباب بقبضتك ، وتصرخ مستنجدًا ، وحتى حينما فتح لك رجال الأمن الباب ، رحت تتراجع أمامهم فى رُعب ، ثم سقطت فاقد الوَعْى .

غمغم (رمزى) فى ذهول :

— رجال الأمن ؟!

أجابه الدكتور (إبراهيم) فى صرامة :

— نعم .. رجال الأمن التابعون لكم .. هل تحب سماع شهادتهم ؟

ثم التفت إلى أحد الممرِّضين ، مستطردًا فى حزم :

— أحضر أحد رجال المخابرات العلميّة من الخارج .

غادر الممرِّض الحجرة ، وعاد وبصحبته أحد رجال الأمن ، الذين أرسلتهم إدارة المخابرات العلمية ، فسأله الدكتور (إبراهيم) فى صرامة :

— ماذا حدث ، حينما عثرتم على الدكتور (رمزى) ، والدكتور (حجازى) ؟

أجابه رجل الأمن فى اهتمام :

— لقد سمعنا صوت طرقات على باب المشرحة ، فأسرعنا إلى هناك ، وفتحنا الباب ، ولم يكد الدكتور (رمزى) يرانا ، حتى تراجع صائحًا فى رُعب : «مستحيل !!» .. ثم سقط فاقد الوعى .

ابتسم الدكتور (إبراهيم) فى سخرية ، وهو يقول :

— وماذا عن المَوْتى ؟

تطلَّع إليه رجل الأمن فى دهشة ، وأجاب :

— كانوا فوق موائد الفحص بالطبع .. أليْسُوا مَوْتى ؟..

اتسعت عينا (رمزى) فى دهشة وحَيْرة ، وهو يغمغم :

— ولكننى رأيتهم ..

أجابه الدكتور (إبراهيم) فى صرامة :

— مجرَّد هَلْوَسَة .

ثم انحنى طبيب آخر ، وغرز فى عروق (رمزى) إبرة محقن ، وهو يقول :

— اهدأ يا ولدى .. وستجتاز هذه الأزمة فى سرعة .

ودفع سائلًا مهدّئًا فى دماء (رمزى) ، الذى راح يردِّد
فى ذهول :

ـــ لقد رأيتهم .. أُقسم إننى رأيتهم ..

خفت صوته ، واختلطت حروف كلماته ، قبل أن يذهب
فى سُبات عميق ، فهزَّ الدكتور (إبراهيم) رأسه فى أسف ،
وهو يقول :

ـــ مسكين . لقد أصابته لَوْثة عقلية .

ثم غادر الحجرة فى بطء ، وتلاشى أسفه الزائف مع
ابتسامته الظافرة الشامتة ، وهو يقول للدكتور (صفوت) ،
الذى كان ينتظره خارج الحجرة :

ـــ وما من قاضٍ عاقل يقبل شهادة رجل مصاب بلَوْثة
عقلية .

ابتسم الدكتور (صفوت) ، وهو يقول فى ارتياح :

ـــ صدقْتَ .

ثم سأله فى اهتمام :

ـــ متى نبدأ عملية ذلك الرائد ؟

تطلّع الدكتور (إبراهيم) إلى ساعته ، وأجاب :

ـــ إنها التاسعة مساءً الآن .. سنعلن موته فى منتصف الليل

تمامًا ، وبعدها سننقله إلى المعمل ، ونبدأ فى انتزاع مخّه مع
الفجر ، ووضعه فى الجسد الجديد .

أشار (صفوت) إلى الحجرة ، وهو يسأل :

ـــ وماذا عن هذين ؟

تألّقت عينا الدكتور (إبراهيم) فى شراسة ، وهو يقول :

ـــ لقد انتهى أمرهما تقريبًا ، وبعد أن ننتهى من زرع مخ
زميلهما فى جسد آخر ، سيبذلان أقصى جهدهما ، للحفاظ
على ذلك الجسد .. ولكن هذا لا يمنع ضرورة متابعتك لهما ،
خشية أن يستيقظا قبل الآوان ، ويسبِّبا لنا أيّة متاعب .

سأله فى توتُّر :

ـــ وماذا لو حدث ذلك ؟

صمت لحظة ، ثم أجابه فى صرامة :

ـــ اقتلهما .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة والنصف مساءً ، حينما
دخل الدكتور (عامر) إلى حجرة العناية المركّزة ، وراح
يفحص جسدَىْ (نور) و (سلوى) على نحو روتينى ، ثم
سأل الممرّضة المقيمة فى هدوء :

— أكل شىء على ما يرام ؟

أجابته فى احترام :

— نعم يا دكتور (عامر) .. كل شىء على ما يرام .

تظاهر بفحص الآلات فى اهتمام ، ثم أوصل بمجمَّع الكهرباء الرئيسىّ مكعَّبًا صغيرًا ، على نحو خفىّ ، قبل أن يقول :

— حسنًا .. أنا فى حجرتى .. أبلغينى إذا ما حدث أىّ تطوُّر مفاجئ .

أجابته فى احترام :

— بالتأكيد يا دكتور (عامر) .

غادر حجرة العناية المركَّزة فى هدوء ، وألقى التحيَّة على رجلَى الأمن بابتسامة واسعة ، ثم اتجه نحو حجرة الدكتور (إبراهيم) ، ودَلَف إليها فى سرعة ، ثم زَفَرَ فى قوّة ، وهو يُلْقِى جسده فوق أقرب مقعد ، فسأله الدكتور (وحيد) فى توتُّر :

— هل قمت بعملك ؟

أومأ الدكتور (عامر) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. لقد فعلت .

ثم ابتسم فى عصبيَّة ، وهو يقول :

— وفى منتصف الليل تمامًا ، وأيًا ما كانت حالة الرائد (نور) ، فستعلن كل الأجهزة المتصلة بجسده عن توقُّف قلبه ومخه عن العمل تمامًا .. وسنعلن موته رسميًّا .

ابتسم الدكتور (إبراهيم) فى ارتياح ، والتفت إلى الدكتور (وحيد) ، قائلًا فى حزم :

— أعِدّ المعمل الخاص على الفور ، واستعدّ .. ففى الرابعة صباحًا بالضبط ، ستبدأ عمليَّة نقل مخّ الرائد (نور) .

* * *



٨ ــ حِلْم الأحْلام ..

ظلام دامس أحاط بـ (رمزى) ، الذى راح يسبح فيه فى بطء ، دون أن يدرى إلى أين يقوده جسده ..

ثم امتلأ الفراغ بتلك النجوم اللامعة الصغيرة ..

ومن بعيد ، اقترب جسم مألوف ..

اقترب فى سرعة وهدوء ، على الرغم من أن وضع جسده كان يُوحى بأنه واقف ..

وتبيَّن (رمزى) ملامح الجسم ، فهتف فى دهشة :

ــ (نور) ؟!.. هل استيقظت ؟

ابتسم (نور) ، وهو يضع يده على كتفه ، قائلًا :

ــ ليس بعد يا (رمزى) .. لقد أتيت لزيارتك فحسب .

هتف (رمزى) فى قلق :

ــ ولكنك معرَّض لخطر بالغ يا (نور) .

أومأ برأسه فى هدوء ، وهو يقول :

ــ أعلم ذلك يا (رمزى) ، وأنا أعتمد عليك لإنقاذى .

غمغم (رمزى) فى يأس :

ــ كيف يا (نور) ؟.. إن كل الأمور تبدو لى غامضة ، عجيبة ، وبعضها مستحيل حدوثه .

جلس (نور) ، وهو يبتسم فى هدوء ..

لم يكن هناك مقعد ..

ولكنه جلس ..

وجلس (رمزى) أيضًا ..

جلسا متجاورين فى الفراغ ..

وقال (نور) فى هدوء ، دون أن يفقد ابتسامته :

ــ دَعْنا نستعيد عبارة (شيرلوك هولمز) الشهيرة يا (رمزى) : « مهما بدت الأمور غامضة وعجيبة ، فكل ما علينا هو أن نستبعد المستحيل ، وما يتبقَّى سيكون هو الحقيقة ، مهما بلغت غرابتها » .

هتف (رمزى) فى يأس :

ــ ولكن هناك موتى أحياء يا (نور) .

حافظ (نور) على ابتسامته ، وهو يقول :

ــ دَعْنا نستبعد ذلك يا (رمزى) ، فهذا هو المستحيل ، فالروح سرّ الخالق (عزّ وجلّ) ، وإذا ما عادت إلى بارئها ..

فما من مخلوق ، مهما بلغ علمه ، أو بلغت قوته ، يمكنه استعادتها .

غمغم (رمزى) :

ــ وماذا عن ذلك الوحش الآدمىّ ، الذى هاجمنا ، وقتل الطبيب والممرِّض ، ورجل الأمن ؟.. ألم يؤكِّد رجل الأمن الآخر أنه قد مات منذ ثلاثة أيام .

رفع (نور) سبَّابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ لحظة يا (رمزى) .. لقد قال الرجل : إن الأطباء قد أعلنوا موته ، ولم يقل إنه واثق من موته بالفعل .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول فى انفعال :

ــ هل تعنى أن أحد الأطباء ، المشرفين على تلك التجربة الشيطانية ، قد أعلن وفاة الرجل زورًا ، ليحصل على جسده لتجربته ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ هل رأيت كم من السهل أن نتوصَّل إلى الحقيقة ، حينما نستبعد المستحيل ؟

هتف (رمزى) :

ــ وماذا عن أولئك الموتى ، الذين عادوا إلى الحياة فى المشرحة ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لقد أجاب الدكتور (إبراهيم) عن هذا السؤال ، حينما قال إنها نوع من الهَلْوَسة .

هتف (رمزى) فى استنكار :

ــ ومن أين تأتى الهَلْوَسة ؟

عاد (نور) يبتسم ، وهو يقول :

ــ ألم يرسل لكما الدكتور (إبراهيم) مشروبًا ساخنًا .

اتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !!.. نعم .. لقد تذكَّرت ذلك .. إذن فقد دسَّ لنا أحد عقاقير الهَلْوَسَة المعروفة فى المشروب ، ولذلك خُيِّل للدكتور (حجازى) أن المخ ينبض ، ويبتعد عن يده ، على حين لم أرَ أنا ذلك .. يا إلٰهى !!.. لقد فهمت يا (نور) .. إن انقطاع الضوء ، وذلك المصباح الأحمر ، وما يصنعه من ظلال ، كل هذا جعلنى ــ بعد أن بدأ مفعول العقَّار ــ أتخيَّل أن الموتى قد عادوا إلى الحياة ، ولقد نقلت ذلك الإيحاء إلى الدكتور (حجازى) ؛ وهذا لم أشعر بلكمتى الأولى ؛ لأنها أصابت وهمًا ، على حين شعرت بالثانية ؛ لأننى لكمت الدكتور (حجازى) نفسه ، وأنا أتوهَّم أننى ألكم أحد

الموتى الأحياء ؛ ولهذا أيضًا رأيت رجال الأمن وكأنهم موتى أحياء ، حينما فتحوا الباب لإنقاذى .. ربّاه !.. لقد اتضحت لى أمور كثيرة يا (نور) ، والفضل يعود إليك .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ بل إليك أنت يا (رمزى) .. إلى عقلك أنت .

* * *

لم يكد عقربا الساعة يلتقيان ، عند تمام منتصف الليل ، حتى انتفض جسد الممرِّضة المقيمة ، فى حجرة العناية المركَّزة ، حينما أصْدرت كل الأجهزة المتصلة بجسد (نور) أزيزًا ثابتًا متَّصلًا ، فهبَّت من مقعدها ، واتجهت نحو (نور) فى ذُعْر ، ثم ضغطت زِرَّ جهاز الاتصال الخاص ، وهى تهتف :

ـ احضر بسرعة يادكتور (عامر) .. يبدو أن الرائد يموت .

لم تمض لحظات ، حتى وصل الدكتور (عامر) ، وراحَ يفحص جسد (نور) فى سرعة ، أمام عيون رجال الأمن ، قبل أن يقول فى أسف :

ـ لقد مات .

شهقت الممرِّضة فى ألم ، وانهمرت الدموع من عينيها ؛ وهى تغمغم :

ـ هكذا ؟.. فجأة ؟

عقد الدكتور (عامر) حاجبيه ، وهو يغمغم فى أسف زائف :

ـ هكذا يحدث ذلك دائمًا .

ثم التفت إلى رجلى الأمن مستطردًا :

ـ عاونانى على نقله إلى المعمل ، فلابدَّ من فحص سبب الوفاة المفاجئة .

عاونه الرجلان على دفع فراش (نور) ، بكل ما يتصل به من أجهزة ، إلى المعمل ، وهما يشعران بالأسف البالغ ، لموت الرائد (نور) ، صاحب الانتصارات الرائعة فى عالم الألغاز العلمية ، على هذا النحو المفاجئ ..

وعند باب المعمل شكرهما الدكتور (عامر) ، وأبدى أسفه لما حدث ، ثم تعاون مع الدكتور (وحيد) على دفع الفراش إلى المعمل ، حيث ينتظرهما الدكتور (إبراهيم) ، الذى ابتسم فى ظفر ، وقال فى حزم :

ـ هيَّا .. أحضرا الآخر ، صاحب الجسد القوىّ ، فانتزاع مخِّه سيحتاج إلى ثلاث ساعات كاملة ، وبعدها نبدأ فى انتزاع مخ الرائد ، وزرعهُ فى الجسد الآخر .. هيَّا .

ثم بدأ يرتدى زىّ العمليات ، وهو يتطلّع إلى جسد (نور) فى ظفر وارتياح ..

* * *

كان (رمزى) يسبح مع (نور) فى ذلك الفراغ اللانهائىّ ، وهو يقول :

ــ ولكن لماذا فعل بنا الدكتور (إبراهيم) ذلك ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ كان لابدّ من إقصائكما عن الطريق يا (رمزى) و .....

تجهّمت ملامح (نور) فجأة ، وبدأت النجوم تخبو فى ذلك الفراغ اللامتناهى ، فهتف (رمزى) فى انزعاج :

ــ ماذا حدث يا (نور) ؟

أجابه (نور) ، وجسده يبتعد :

ــ لابدّ أن تستيقظ الآن يا (رمزى) ، وأن تتحرّك فى سرعة ، فالخطر يقترب .. يقترب .. يقترب .. يقترب ..

راحَ يردّد هذه العبارة فى صوت يخفت تدريجيًا ، وجسده يبتعد فى سرعة ، والظلام يعود ليُطبق على (رمزى) دامسًا ، رهيبًا ، فهتف فى يأس :

ــ إلى أين يا (نور) ؟.. (نور) ..

واستيقظ فجأة ..

استيقظ ليجد نفسه راقدًا على فراشه ، وإلى جواره الدكتور (حجازى) ، وشعر برأسه ثقيلًا ، ولكنه تحامل على نفسه ، ونهض من الفراش ؛ واتجه نحو باب الحجرة ، وفتحه ، فوجد أمامه ممرّضًا ، حدّق فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقول فى خشونة :

ــ ماذا تفعل ؟.. عُدْ إلى فراشك .

هتف به (رمزى) فى وَهَن :

ــ ابتعد عن طريقى .

دفعه الممرّض إلى الداخل فى عُنْف ، وهو يقول :

ــ عُدْ إلى فراشك .. إنها أوامر الطبيب .

وعلى الرغم من أن أثر المهدئ لم يكن قد تلاشى بعد ، فقد جمع (رمزى) كل قوته فى قبضته ، وهوى بها على فكّ الممرّض بلكمة قويّة ، جعلت الممرّض يرتطم بباب الحجرة ، وهو يحدّق فى وجه (رمزى) فى دهشة ، فعاجله بلكمة أخرى ، ألقته أرضًا ، ودفع قدميه إلى خارج الحجرة ، ولكنه سمع صوتًا صارمًا يقول فى حِدّة :

ــ إلى أين ؟

وكان صاحب الصوت أحد القتلة ..

كان الدكتور (صفوت) ..

* * *

تحرَّكت أصابع الدكتور (إبراهيم) فى سرعة ومهارة ، وهو يقطع النخاع الشوكى ، لمخ رجل مفتول العضلات ، تمهيدًا لانتزاعه ، وزرع مخ (نور) محلَّه ، وتصبَّب على جبينه عرق غزير ، راحَ الدكتور (وحيد) يجفِّفه فى عناية ، على حين أخذ الدكتور (عامر) يناول الآلات الحديثة الدقيقة لرئيسه ، ويتناول منه الآلات المستخدمة ، وعقارب الساعة تتحرَّك فى بطء ، حتى غمغم الدكتور (إبراهيم) فى توتُّر :

ـــ أين (صفوت) ؟

أجابه الدكتور (وحيد) فى هدوء :

ـــ لقد ذهب الطِّبيان يتفقَّدانِ زميلى ذلك الرائد .

غمغم الدكتور (عامر) فى توتُّر :

ـــ كنت أفضِّل قتلهما ، بدلًا من مراقبتهما دومًا هكذا .

أجابه الدكتور (إبراهيم) ، وهو يمارس عمله فى سرعة ومهارة :

ـــ خطأ يا (عامر) .. قتلهما كان سيجلب لنا الكثير من المتاعب ، ثم إنهما لا يشكِّلان أيَّة خطورة لنا الآن .

غمغم فى توتُّر :

ـــ أخشى أن .....

قاطعه الدكتور (إبراهيم) فى حزم :

ـــ لا تخشَ شيئًا .. سأنتهى من انتزاع ذلك المخ بعد أقل من ساعة ، وبعدها سنبدأ فى انتزاع مخ الرائد ، وزرعه هنا ، وعندئذ ينتهى كل شىء .

وواصل عمله ، وهو يستطرد فى هدوء :

ـــ اطمئن .. سننجح فى عملنا .. لن نفشل هذه المرَّة أبدًا .

* * *

كان (رمزى) يشعر بدُوَار عنيف ، وبصُداع رهيب من أثر المخدِّر ، ولكنه كان يعلم أن عودته إلى حجرتـــه ، واستسلامه هذه المرَّة ، قد يَعْنِى نهاية (نور) ؛ لذا فقد ضمَّ قبضته ، وهو يقول فى حزم :

ـــ ابتعد يا دكتور (صفوت) .. لن أسمح لكم بإيذاء (نور) أبدًا .

ابتسم الدكتور (صفوت) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ هكذا ؟!

طوّح (رمزى) قبضته فجأة نحو فك الدكتور (صفوت)، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة فى مهارة، ولكَمَ (رمزى) فى معدته بقوّة، وهو يقول فى شراسة :

ــ لن يُوقفنا أحد هذه المرّة .

تحمّل (رمزى) اللكمة، وحاول أن يلكم الدكتور (صفوت) مرّة أخرى، ولكن الطبيب لكمه فى فكّه بقوّة، وألقاه أرضًا، ثم انحنى يجذبه من سترته فى قوّة، وهو يهتف فى حِدّة :

ــ إننا أوّل من ينجح فى إجراء تلك التجربة، ولن نتوقّف عند الخطوة الأولى، بسبب عواطف سخيفة .

ولكَمَه مرّة ثالثة فى قوّة، ثم حمله فى خشونة، وألقاه فوق فراشه ..

وبذل (رمزى) مجهودًا رهيبًا، ليقاوم دُوَار الضربات، وآثار المهدئ، وفتح جفنيه فى صعوبة، فرأى (صفوت) يلتقط قنينة صغيرة، ويغرس فيها إبرة محقن، ثم يسحب كل السائل الأصفر الذى تحويه، داخل المحقن، ويلتفت إليه قائلًا :

ــ إنك تعلم طبعًا ما هذا .. إنه جرعة مضاعفة أربع

مرّات من أقوى مخدّر معروف، فى القرن الحادى والعشرين .. هل تعلم ماذا سيحدث، حينما أحقنك بتلك الجرعة ؟.. إنها ستقتلك على الفور .

حاول (رمزى) أن يقاوم، ولكن (صفوت) انحنى، وأمسك ذراعه فى سرعة وقوّة مستطردًا فى شراسة :

ــ الوداع أيها العنيد .. الوداع .

* * *



٩ ـ المقـاومة ..

« استيقظ يا (رمزى) .. استيقظ قبل فوات الأوان » ..

ترددت تلك الصيحة فى عقل (رمزى) قوية عنيفة ، وهى تحمل صوتًا مألوفًا ..

صوت (نور) ..

وفجأة .. عادت إلى (رمزى) كل قوته وحيويته ، فجمع كل ذلك فى قدميه ، ودفعهما فى صدر الدكتور (صفوت) ، قبل أن يغرز محقنه فى ذراعه ..

واندفع جسد (صفوت) إلى الخلف فى قوة وعنف ، وارتطم بحائط الحجرة ، وقبل أن يعتدل فى دهشة ، قفز (رمزى) من الفراش ، وهوى بقبضته اليمنى على فك (صفوت) ، ثم هوى باليسرى على أنفه ..

وسقط (صفوت) فى ذهول ، ثم نهض صائحًا فى ثورة :

ـ أيها الحقير .. لن تفلح أبدًا .

ثم لكم (رمزى) ، فألقاه فوق الفراش ، واندفع نحوه ، وقبض على عنقه بكفيه فى قوة ، وهو يصرخ فى جنون :

ـ لن توقف عملنا أبدًا .. أبدًا .

ومرة أخرى ، دفع (رمزى) قدميه فى صدر (صفوت) ، وألقاه بعيدًا ، وسمعه يطلق صرخة ألم هائلة ، فقفز يواجهه ، إلا أنه أشاح بوجهه فى ألم ..

لقد سقط الدكتور (صفوت) على حافة مائدة فحص صلبة ، فتحطم عنقه ، وسقط رأسه على جانب جسده ، وجحظت عيناه ، وهوى جثة هامدة ..

ولهث (رمزى) فى تعب وانفعال ، وهو جامد فى مكانه لحظات ، ثم هتف فى لهفة :

ـ ينبغى أن أسرع .. ينبغى أن أسرع ، قبل أن أفقد (نور) .

* * *

غمغم الدكتور (إبراهيم) فى جدة وتوتر :

ـ لماذا طال غياب (صفوت) ؟

أجابه الدكتور (وحيد) :

ـ لست أدرى .. أخشى أن يكون قد صادف بعض المتاعب .

هتف به الدكتور (إبراهيم) فى توتر :

ــ اذهب وانظر ماذا أصابه ، وعُدْ به إلى هنا ، فينبغى أن نبدأ فى انتزاع مخ الرائد بعد ربع ساعة فقط .

غمغم (وحيد) فى توتُّر :

ــ سأذهب .

زفر الدكتور (إبراهيم) فى توتُّر ، وهو يقول للدكتور (عامر) :

ــ استعدّ أنت أيضًا ، ففوْر عودة (صفوت) ستبدآن عملكما .. وكُن على حذر شديد ، فأنا أُريد مخّه سليمًا .. سليمًا للغاية ..

* * *

انطلق (رمزى) يعْدُو عَبْرَ ممرّات المستشفى ، وهو يلهث فى قوّة ، ويتساءل فى دهشة عن سرّ تلك الطاقة ، التى ملأت جسده بغتة ، وأزالت من عقله كل أثر للمهدئ ، حتى بلغ حجرة العناية المركَّزة ، فاتسعت عيناه فى ذُعْر وذُهول ، حينما لم يجد أى أثر أمامها لرجلى الأمن ، وقفز ذُعْره وذهوله إلى ذِرْوَته ، حينما لم يجد فراش (نور) داخل الحجرة ، فاقتحمها فى عنف ، وهو يصرخ فى وجه الممرِّضة المقيمة ، على نحو أصابها بالفزع :

ــ أين (نور) ؟ .. ماذا فعلتم به ؟

تراجعت الممرِّضة فى ذُعْر ، وهى تهتف :

ــ إننا لم نفعل به شيئًا .. لقد مات .

اتسعت عينا (رمزى) فى ذُهول ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ــ مات ؟!

امتقع وجهه فى شِدَّة ، وتهاوَى فوق مقعد الممرِّضة فى يأس وألم هائلَيْن ، وهو يردِّد فى هَلَع :

ــ مات ؟! .. يا إلٰهى !! .. لقد وصلت متأخرًا .

سالت من عينيه دموع القهر والمرارة ، وهو يسأل الممرِّضة فى انهيار :

ــ كيف مات ؟

أجابته ، ولم يفارقها ذُعْرها بعد :

ــ لست أدرى .. لقد توقَّفت أجهزته فجأة فى منتصف الليل و .....

قاطعها فى دهشة :

ــ فى منتصف الليل ؟!

ثم هبَّ من مقعده ، هاتفًا :

ــ مستحيل !! .. إننى واثق من أن (نور) كان على قيد الحياة ، بعد هذا الموعد بكثير .

غمغمت الممرّضة فى ارتياع :

ـــ كلّا .. لقد مات فى منتصف الليل تمامًا .. كل الأجهزة توقّفت فى ذلك الموعد ، ولقد فحصه الدكتور (عامر) بنفسه ، وقرّر أنه .....

قاطعها (رمزى) فى دهشة :

ـــ الدكتور (عامر) ؟! .. هل فحصه قبل أن يموت ؟

أجابته وهى ترتجف :

ـــ نعم .. لقد فحصه فى التاسعة والنصف ، وفحص الأجهزة أيضًا و .....

لم يدعها تتمّ عبارتها ، وإنما استدار فى سرعة إلى مجمّع الطاقة ، وانتزع منه ذلك المكعّب الصغير ، الذى يعوق الإشارات الصادرة من جسد (نور) ، ويمنعها من الوصول إلى الأجهزة ، وألقاه فى حَنَق ، وهو يهتف :

ـــ يا للأوغاد !!

ثم سأل الممرّضة فى حِدّة :

ـــ أين ذهبوا به ؟ .. إلى أين نقلوه ، بعد أن أعلن (عامر) موته ؟

أجابته فى ارتياع :

ـــ لقد نقلوه إلى المعمل الخاص ، لفحص سبب الوفاة و .....

شهقت فى فزع ، حينما أمسك (رمزى) كتفيها فى قوّة ، وهتف بها فى حزم :

ـــ اسمعينى جيّدًا ، ونفّذى ما سأطلبه منك فى سرعة .. أريد منك أن تتّصلى على الفوْر برجال أمن المستشفى ، وتطلبى منهم الحضور إلى المعمل الخاص بأقصى سرعة ، لمنع جريمة قتل .

هتفت فى ارتياع :

ـــ جريمة قتل ؟!

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفعت شهقة دهشة من خارج الحجرة ، مصحوبة بهتاف يقول :

ـــ يا إلهى !!

التفت (رمزى) إلى مصدر الصوت فى حِدّة ، فوقع بصره على الدكتور (وحيد) ، الذى حَدّق فى وجهه بارتياع ، ثم اندفع يَعْدو عائدًا إلى المعمل ، فصاح (رمزى) بالممرّضة :

ـــ أسْرعى .. استدعى رجال الأمن .

ثم انطلق يَعْدو خلف (وحيد) ..

وركض (وحيد) بكل ما يملك من قوّة ، ولكن عناد (رمزى) ، وخوفه على مصير (نور) ، جعلاه يركض بسرعة

مذهلة ، حتّى لحق بـ (وحيد) على بعد ثلاثة أمتار من المعمل الخاص ، وتشبّث بكتفيه فى عنف ، وهو يصيح فى غضب :

ـــ إلى أين ؟ ..

استدار إليه (وحيد) ، وحاول أن يلكمه فى قوّة ، وهو يهتف :

ـــ ابتعد .. إنك تفسد كل شىء .

تفادى (رمزى) لكمته ، ولكمه فى معدته ، وهو يهتف فى حَنَق :

ـــ أنتم الذين تفسدون كل شىء ، حتى قوانين الطبيعة .

صاح (وحيد) فى هياج :

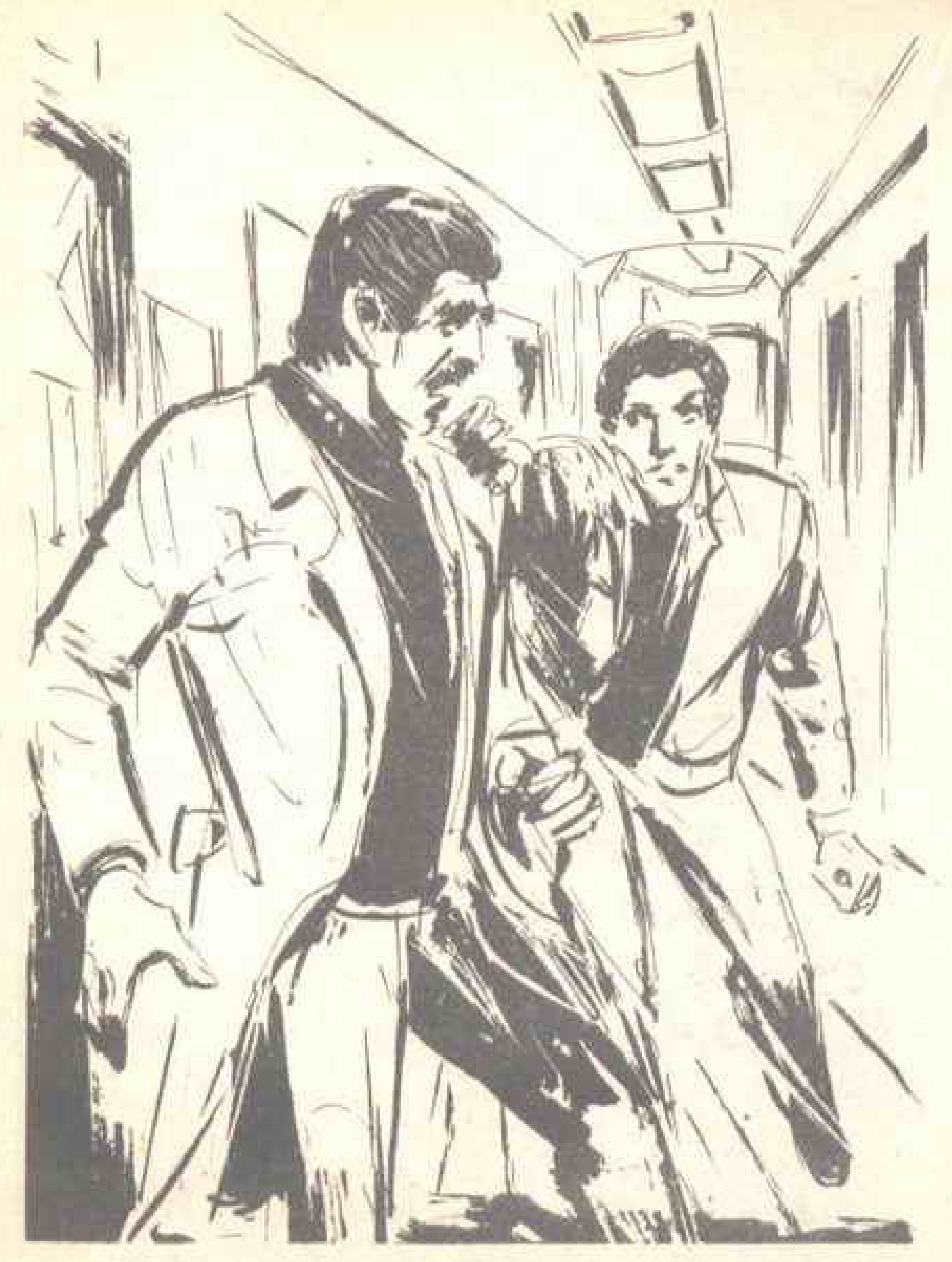
ـــ ولم لا نصنع نحن قوانين الطبيعة ؟ .. لماذا تحارب التقدُّم العلمىّ ؟

لكَمهُ (رمزى) لكَمَة أخرى فى معدته، وهو يهتف غاضبًا :

ـــ إننى أحارب المجرمين ، الذين يذبحون البشرية باسم العلم .

تراجع (وحيد) فى ألم ، ثم انتزع من جيب معطفه مبضعًا حادًّا كبيرًا ، وهو يقول فى شراسة :

ـــ أنت غبىّ .. غبىّ مثل جميع المتشدّقين بالمثل والمبادئ ،



ولكن عناد (رمزى) ، وخوفه على مصير (نور) ، جعلاه يركض بسرعة مذهلة ، حتى لحق بـ (وحيد) ..

ولكنك لن توقف تجربتنا .. لن تمنعنا من إتمام ما نعمل من أجله منذ ستة أعوام كاملة .

تحرَّك (رمزى) فى حذر ، أمام المبضع الحادّ ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ هل تفكّر فى قتلى ؟

صاح (وحيد) فى وحشية :

ــ أنت أجبرتنى على ذلك .

ثم انقضَّ على (رمزى) ، واشتبك الاثنان فى قتال عنيف ..

* * *

هتف الدكتور (إبراهيم) فى توتُّر بالغ :

ــ ما الذى يحدث فى الخارج ؟.. هناك ضجَّة عنيفة .

غمغم الدكتور (عامر) فى خوف :

ــ لست أدرى .. إن هذا يثير قلقى للغاية .

هتف به الدكتور (إبراهيم) فى حدَّة :

ــ انظر ماذا يحدث .. لن يمكننى العمل فى هذا المناخ .

أسرع (عامر) نحو باب المعمل ، وفتحه فى سرعة ، ثم هتف فى دهشة وذُعر :

ــ يا إلهى !! ..

ثم أغلق الباب فى حِدَّة ، وأحكم مزلاجه فى قوَّة ، فهتف به الدكتور (إبراهيم) فى عصبيَّة :

ــ ماذا هناك ؟

صاح (عامر) فى ذُعر :

ــ إنه ذلك الطبيب النفسى ، لقد استعاد وعيه ، وهو يتصارع مع (وحيد) فى عُنف .

شحُب وجه الدكتور (إبراهيم) ، وأسرعت أصابعه فى عملها ، وهو يهتف :

ــ كلَّا .. ليس الآن .. ليس قبل أن نتمَّ عملنا .. إننى أحتاج إلى عشر دقائق أخرى ، قبل أن أنتزع هذا المخ اللَّعين .

هتف (عامر) فى ذُعر :

ــ وماذا عن مخ الرائد ؟

أجابه الدكتور (إبراهيم) فى حِدَّة :

ــ إنه يحتاج إلى رجلين ؛ لانتزاعه سليمًا ، ولم يعُد هناك سوانا .

وأصبحت أصابعه تتحرَّك فى سرعة الصاروخ ، وهو يستطرد :

ــ أعِدّ الأدوات اللازمة .. سأنتزع هذا المخ فى خمس دقائق فحسب ، وبعدها سننتزع مخ هذا الرائد ، وليكن ما يكون .

أسرع (عامر) يُعِدّ الآلات فى عصبيَّة ، ويستعِدُّ لنزع المخ .. مخ الرائد (نور) ..

* * *

١٠ ــ اللحظات الأخيرة ..

كان الدكتور (وحيد) يبدو كوحش شرس ، وهو يقاتل (رمزى) ، الذى ملأته رغبته فى إنقاذ (نور) بقوّة هائلة ، جعلته يقاتل فى عُنف ، وهو يهتف فى غضب :

ــ لن تواصلوا جرمكم .. لن تواصلوه أبدًا .

هوى (وحيد) بمبضعه الحادّ على عنق (رمزى) ، ولكن (رمزى) قبض على معصمه فى قوّة ، وقاوم انحدار المبضع نحو عنقه فى عنف ، و (وحيد) يهتف فى وحشية :

ــ ومن أنت أيها الحشرة ، حتى تعترض على أسلوبنا ووسائلنا ؟

صاح (رمزى) ، وهو يدفعه بعيدًا فى قوّة :

ــ أنا واحد من البشر ، الذين يؤمنون ببقاء الطبيعة أيها الوغد .

صرخ (وحيد) فى جنون :

ــ فلتتبع قوانين الطبيعة إذن ، ما دمت تؤمن بها .. اتبع قانون الموت .

وفجأة .. دوّى صوت صارم يقول فى حزم :

ــ قفا .. ماذا يحدث هنا ؟

انتفض جسد (وحيد) فى قوّة ، واستدار فى حدّة إلى مصدر الصوْت ، فدفعه (رمزى) بعيدًا عنه فى عنف ، وقفز واقفًا ..

وأمام عيون (رمزى) ، ورجال الأمن الذين هُرعوا إلى المكان ، إثر استدعاء الممرّضة ، فقد (وحيد) توازنه ، والتوى معْصمه أسفل جسده ، وهو يسقط أرضًا ، ثم شهق فى ألم وذُعر ، وجحظت عيناه فى شدّة ، وسقط رأسه أرضًا ، ونصل المبضع غائب حتى نهايته فى قلبه ..

فى قلبه تمامًا ..

وهتف أحد رجال الأمن فى ارتياع :

ــ يا إلهى !!.. ماذا يحدث ؟

صاح به (رمزى) فى صرامة :

ــ اقتحموا هذا المعمل ، قبل فوات الأوان .

تردّد رجل الأمن ، وهو يقول :

ــ ولكنه معمل خاصّ يا سيِّدى .. ولابدّ من أوامر محدودة ، قبل أن .....

قاطعه (رمزى) فى حدّة :
— إننى أحد رجال المخابرات العلميّة . وأنا آمرك بذلك .
تردّد الرجل مرّة أخرى ، وهو يغمغم :
— إننى أحتاج إلى أمر كتابىّ و ......
اختطف (رمزى) مسدّس رجل الأمن اللّيزرىّ فى عنف ، ودفعه بعيدًا ، وهو يهتف فى حدّة :
— حسنًا .. ابتعد إذن . سأتحمّل أنا المسئولية كلها .
وبلا تردُّد أطلق أشعة مسدّسه اللّيزرىّ ، على مزلاج باب المعمل الخاص ..

* * *

انتهى الدكتور (إبراهيم) من انتزاع المخ الأوّل فى سرعة قياسية . ثم أسرع نحو (عامر) ، وهو يهتف :
— هل أعددْت كل الأدوات ؟
أجابه (عامر) فى توتُّر بالغ :
— نعم .. هيّا بسرعة . لابدّ لنا من انتزاع مخ ذلك الرائد ، قبل أن يقتحم الطبيب النفسىّ الحجرة .
غمغم الدكتور (إبراهيم) ، وهو ينزع قفّازه الطبّىّ ، ويرتدى قفّازًا آخر جديدًا :

— سينتهى كل شىء بمجرّد انتزاعنا مخه . فلم يجرؤ أحد على إيقافنا عندئذ أبدًا ، قبل أن نتمّ عملنا .
التقط (عامر) أنبوب اللّيزر الجراحىّ ، وصوّبه نحو جبهة (نور) ، وهو يقول فى توتُّر بلغ ذروته :
— سأشُقّ رأسه على الفور .. هل أنت مستعد ؟
أجابه الدكتور (إبراهيم) فى حزم :
— مستعد .. ابدأ ..

* * *

قبل أن ينطلق خيط ليزرىّ واحد ، من أنبوب اللّيزر الجراحىّ ، اقتحم (رمزى) الحجرة فى عُنف ، فاستدار إليه (عامر) فى حدّة ، وصوّب أنبوب اللّيزر نحوه .. ولكن طلقة من مسدّس (رمزى) اللّيزرىّ اخترقت جبهته ، ونفذت من رأسه ، فسقط جثة هامدة ، وقفز الدكتور (إبراهيم) يلتقط أنبوب اللّيزر ، ويصوّبه إلى منتصف جبهة (نور) تمامًا ، وهو يهتف فى شراسة :
— لاتقترب ، وإلّا قتلت ذلك الرائد على الفور .
دارت عينا (رمزى) فى أرجاء المعمل ، وهو يصوّب مسدّسه إلى الدكتور (إبراهيم) ، وتوقّف بصره عند قفص

من الزجاج السميك ، غير القابل للكسر ، ثم عاد يلتفت إلى الدكتور (إبراهيم) ، قائلاً فى غضب وصرامة :

ـ كنتم ستضعون (نور) فى ذلك القفص ، حتى تمرّ فترة هياجه الوحشىّ ، بعد أن تنقلوا مخه فى جسد آخر .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (إبراهيم) فى غضب وكراهية :

ـ بلى .. وكان كل شىء سيسير على ما يرام ، لو أنك تركت (منير) يضع الرجل الأوّل فى ذلك القفص . قبل أن يتلاشى من مخه أثر المخدِّر ، ويتحوّل إلى وحش آدمىّ كاسر ، كما حدث .

سأله (رمزى) فى حدّة :

ـ ولماذا (نور) ؟.. لماذا وقع اختياركم على مخّه بالذات ؟

هتف الدكتور (إبراهيم) فى هياج :

ـ لأن مخه من نوع خاصّ .. مخ عبقرى متطوِّر . لا مثيل له إلا بين العباقرة فقط ، ثم إنه فى غيبوبة مجهولة ، لا أحد يدرى سببها ، أو متى سيفيق وزوجته منها .

صاح (رمزى) فى غضب :

ـ هذا لا يمنحك الحق فى انتزاع مخه .

صرخ الرجل فى جنون :

ـ إن مخّه سيبقى .. جسده فقط سيفنى .

صاح (رمزى) :

ـ ومن أعطاك حق اتخاذ هذا القرار ؟

صرخ الدكتور (إبراهيم) :

ـ العلم .. كل شىء يهون فى سبيل العلم .

هتف (رمزى) غاضبًا :

ـ أى علم هذا ؟.. إنكم تتحدّون قوانين الطبيعة .

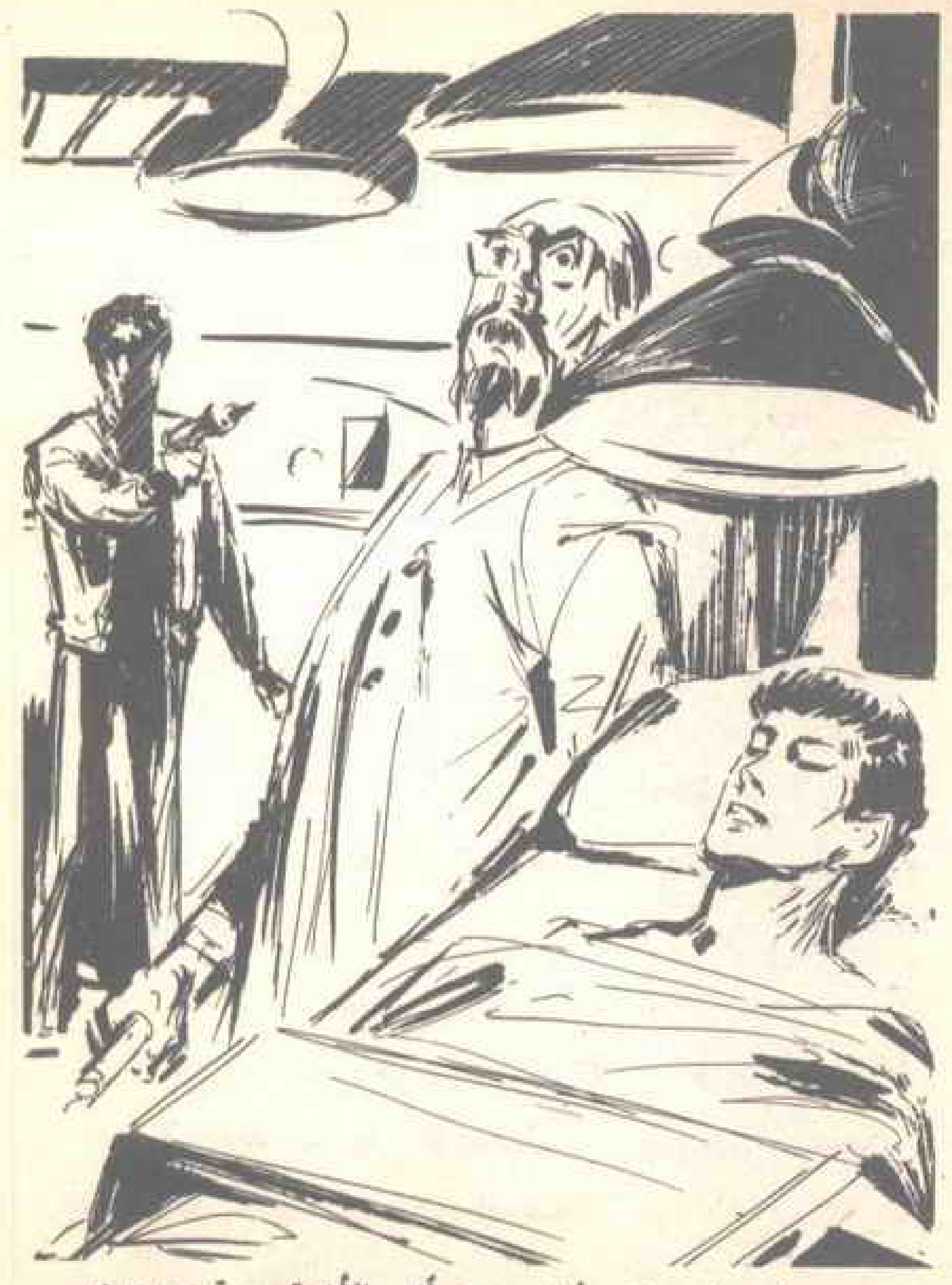
انقلبت ملامح الدكتور (إبراهيم) ، وهو يهتف :

ـ سيحدث هذا إن عاجلاً أو آجلاً .. لو لم نفعلها نحن لفعلها غيرنا .. ما الذى يمنع أن نكون الأسبق إذن .

خفض (رمزى) فُوّهة مسدّسه الليزرىّ ، وهو يقول فى بطء وصرامة :

ـ لقد فشلتم يا دكتور (إبراهيم) .. كل ما خطّطتم له فشل ، بسبب رجل فى غيبوبة عميقة ، قاومكم بعقله فقط طوال الوقت .. استسلم يا رجل .. لم يعد أمامك سوى ذلك .

زاغ بصر الدكتور (إبراهيم) ، وهو يستمع إلى (رمزى) ، ثم صرخ فى جنون :


ورفع مسدّسه فى سرعة ، وأطلق منه خيطًا من الأشعة ، مرق من بين عينى الدكتور (إبراهيم) ، فجحظت فى رُعب ..

— أستسلم ؟!.. مستحيل !.. لقد بلغنا النهاية ، ولن أتراجع أبدا .

ثم رفع أنبوبةَ اللّيزرىَ نحو رأس (رمزى) ، وهو يصرخ :

— مستحيل !

قفز (رمزى) جانبًا ، متفاديًا شعاع اللّيزر القاتل ، ورفع مسدّسه فى سرعة ، وأطلق منه خيطًا من الأشعة ، مرق بين عينى الدكتور (إبراهيم) ، فجحظتا فى رُعب وتطلّعتا إلى (رمزى) فى ذُهول وذُعر ، قبل أن يسقط هو جثة هامدة ، وسط معمله الخاصّ ..

وساد الصمت التامّ لحظة ، بدت وكأنها قد استغرقت دهرًا كاملًا ، قبل أن يلقى (رمزى) مسدّسه اللّيزرىَ ، ويتجه نحو جسد (نور) ، الساكن ، الصامت ويربّت على كتفه ، قائلًا فى ارتياح :

— لقد انتهى الأمر يا صديقى .. لقد نجَوْت ..

* * *

١١ ـ الختام ..

وقفت الصغيرة (نشوى)، ابنة (نور) و (سلوى)، إلى جِوَار (رمزى)، أمام نافذة حجرة العناية المركَّزة، تتطلَّع إلى والديها فى حزن، وهى تقول:

ـ لماذا لم يستيقظا حتى الآن يا عمِّى (رمزى)؟

ربَّت على كتفها فى حنان، وهو يقول:

ـ لكل شىء أوانه يا صغيرتى.

سالت من عينيها دمعة حزينة، وهى تغمغم:

ـ لقد اشتقت إليهما.

أجابها فى حنان:

ـ كلنا نشتاق إليهما يا (نشوى).

وتطلَّع إلى جسد (نور)، الفاقد الوَعْى، وغمغم:

ـ ووالدك رجل رائع يا صغيرتى .. لم يتوقَّف عقله عن العمل أبدًا، حتى وهو غارق فى غيبوبة.

سألته فى دهشة:

ـ كيف يا عمِّى (رمزى)؟

ربَّت على كتفها فى حرارة، وهو يبتسم، قائلًا:

ـ سأخبرك بكل التفاصيل يومًا يا (نشوى)، حينما تبلغين العمر المناسب.

تنهَّدت، وهى تقول:

ـ إنك تردِّد نفس ما كان أبى يردِّده دومًا.

جاء من خلفهما صوت الدكتور (حجازى)، وهو يقول فى حنان:

ـ لا تنسىْ أنهما زميلان يا (نشوى).

ابتسمت ابتسامة باهتة، وهى تغمغم:

ـ نعم يا عمِّى .. أعلم ذلك.

التفت الدكتور (حجازى) إلى (رمزى)، وسأله فى هدوء:

ـ هل تؤمن الآن بنظرية الجسم الأثيرى يا (رمزى)؟

ابتسم (رمزى)، وهو يقول:

ـ تمامًا يا دكتور (حجازى) .. إننى أومن بها، منذ سمعتك تسرُدها على مسامعى، وإلا فما كان كل ما كان.

ربَّت الدكتور (حجازى) على كتفه، وهو يقول:

ـــ لقد كنت رائعا يا ولدى .

هزَّ (رمزى) رأسه فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ بل إن (نور) هو الـــذى يستحـــق تلك العبـــارة يا سيِّدى .. فلقد أدار العملية كلها ، وهو غارق فى غيبوبته .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـــ ولكنك أنقذت حياته .

أجابه (رمزى) فى خفوت :

ـــ هو أيضًا أنقذ حياتى ، حينما حثَّنى على استعادة وَعْيى ، قبل أن يقتلنى الدكتور (صفوت) بمحقنه .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـــ لقـد كانت أعجب مغامـرة مَـرَرْتُ بهـا .. أليس كذلك ؟

غمغم (رمزى) فى هدوء :

ـــ هذا صحيح .

ثم التفت إلى (نشوى) ، مستطردًا فى حنان :

ـــ لقد حان موعد العَوْدة .. أليس كذلك ؟

أجابته فى رجاء :

ـــ أيمكننى أن أُلقِىَ نظرة أخيرة على أبى وأمى ؟

أجابها فى حماس :

ـــ بالطبع .

وقفت تتطلَّع إليهما ، عَبْرَ النافذة الزجاجية ، فى صمت ، ثم قالت فى حزم :

ـــ هيَّا بنا .

وغادر الجميع المستشفى فى هدوء وإيمان ..

* * *

فى تلك الليلة أيضًا رأى (رمزى) نفسـه يسبح فى فراغ مظلم دامس ..

ثم تناثرت النجوم المتألِّقة فى ذلك الفراغ ..

ومن بعيد بدا شخص يقترب ..

وقبل أن يبلغ ذلك الشخص مدى الرؤية ، كان (رمزى) يعلم من هو ..

كان (نور) ..

كان مبتسمًا هادئًا كعادته ..

ولكن ابتسامته كانت شديدة التألُّق هذه المرَّة ..

ولقد اقترب من (رمزى) كثيرًا ، حتى أصبح وجهه الباسم يملأ المشهد كله ..

وفى هدوء وامتنان ، نطق (نور) عبارةً واحِدَة :

ــ شكرًا يا صديقى .

غمغم (رمزى) :

ــ كان من المستحيل ألّا أفعل ما فعلت يا (نور) .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ أعلم ذلك يا (رمزى) .. أعلم ذلك يا صديقى ..

ثم تراجع جسد (نور) فى صمت وهدوء ، حتى اختفى تمامًا ، وبدلًا من أن تتلاشى النجوم مع غيابه ، ازداد انتشارها ، حتى تحوَّل الفراغ الأسْوَد كله إلى مساحة بيضاء مريحة ..

وفى أثناء نومه العميق ، ارتسمت على شفتى (رمزى) ابتسامة ارتياح ..

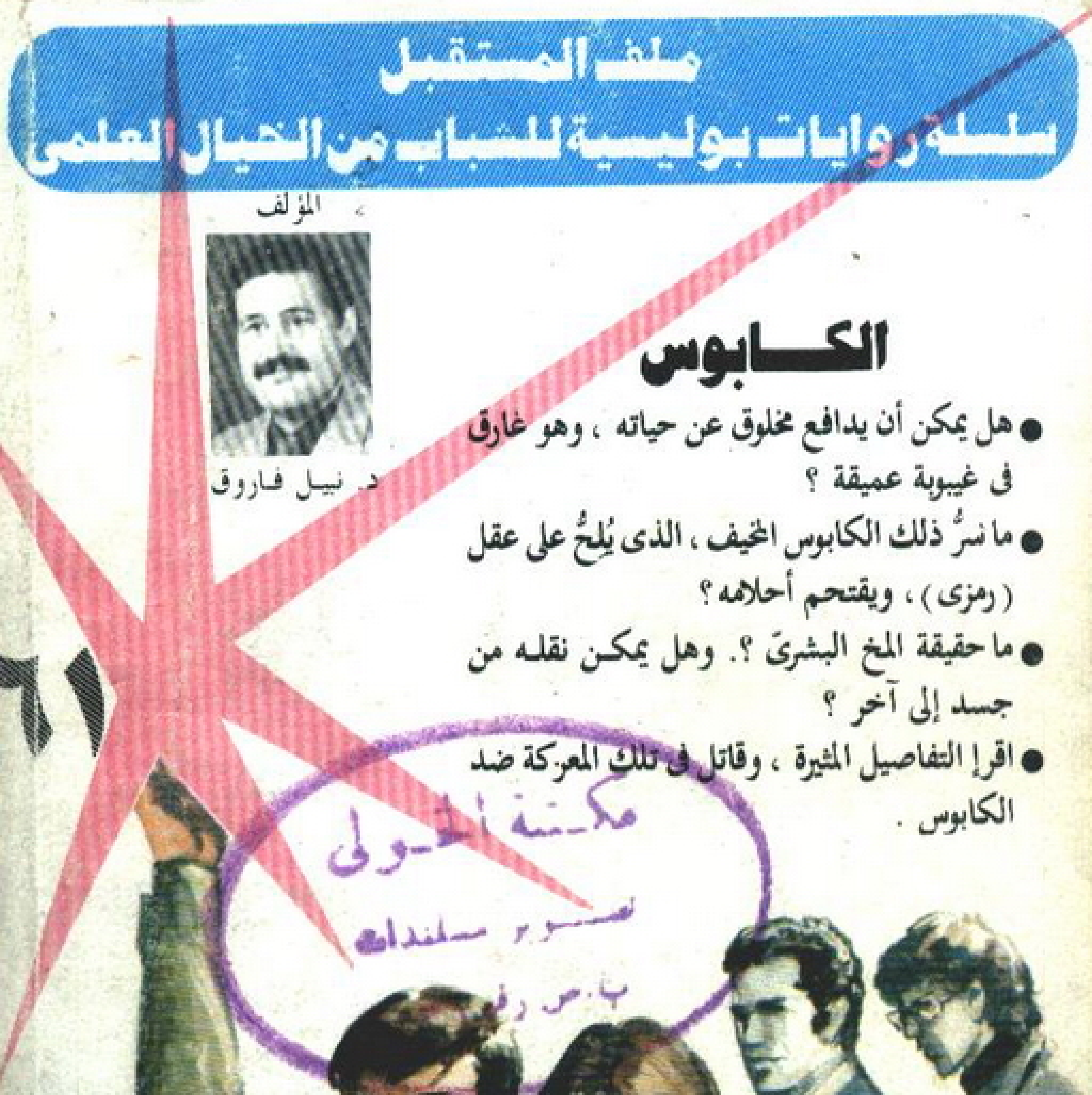
لقد انتهى الكابوس ..

انتهى إلى الأبد ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥



الثمن فى مصر
٩٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : سادة الأعماق